
مطبوعات الجديد
الجزيرة المسحورة
نصوص من الأدب المصري القديم
د. منير مجلّى
الثمن ٥ قروش فى ج.م.ع

اهـــــــداء2005

ا.د.عباس عبد الحميد

جامعة الإسكندرية

وزارة الثقافة والاعلام

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطبوعات الجديد

العدد الثاني



الجزيرة المسحورة

د . منير مجلي



مطبـــوعات الجـــديد

العدد الثانى

١٥ أبريل ١٩٧٢

رئيس التحرير

د . رشاد رشدى



إلى كل من يحب الحضارة
المصرية القديمة التى قدمت
الكثير للانسانية

د. منير مجلى

مقدمة

جمعت النصوص التى يحتوى عليها هذا الكتاب من مصادر مختلفة أولها واهمها البرديات الهيراطيقية • والبردى كما نعلم هو الورق الذى صنعه المصريون القدماء من نبات البردى لاستعماله فى كتابة الوثائق الهـــامة بالحبر • وعثر على هذه البرديات فى المقابر اذ كان المصرى يحرص على ان يضعها معه فى مقبرته لتكون معه فى العالم الآخر •

وقد استعمل المصرى البردى للكتابة من أول العصور ولكن أقدم بردية تم الكشف عنها ترجع للاسرة الخامسة • ومن البديهى ان ما وصل الينا من البرديات التى حفظت هكذا فى المقابر عدد ضئيل وذلك لعوامل عـــدة منها يد الزمن التى جعلت هذه الاوراق تبلى ويد الانسان الذى لم يكن يعرف قيمة هذه الاوراق فاستعملها من عهد غير بعيد فى اشعال النار للتدفئة أو لطهى الطعام •



بردية عليها كتابة بالهيراطيقية

ومن هذه البرديات ماهو موجود فى متحف القاهرة والباقى موزع بين متاحف العالم وخاصة متحف برلين ولندن وباريس وتورينو . ومازالت الحفائر تسفر من حين لآخر عن بعض أوراق البردى .

أما المصدر الثانى فهو ما اصطلحنا على تسميته بكلمة «الاوستراكا» ومعناها قطع الحجر الجيرى غير المنتظمة أو الأوانى الفخارية المكسورة التى استعملها المصرى للكتابة أيضا نظرا لغلو ثمن البردى .

والى جانب البردى والاوستراكا توجد أيضا الواح خشبية استعملت لكتابة بعض النصوص الهامة . وهذه الالواح الخشبية قاومت كالاوستراكا يد الزمن بطبيعة الحال أكثر من ورق البردى .

والمصدر الثالث هو بعض النقوش المحفورة على جدران المعابد والمقابر والتماثيل أو المكتوبة على التوابيت ٠

تعكس كل هذه النصوص الحضارة المصرية القديمة بأوجهها المتعددة٠ فهناك ما يتناول الجانب الاجتماعى والاقتصادى والادارى والقضائى وما



اوستراكا مكتوب عليها نص بالهيراطيقية

يتعلق بالسياسة والحرب والحياة الدينية • والى جانب ذلك توجـــد النصوص الأدبية •

ولقد استرعى نظرى فى النصوص الأدبية التى قمت بترجمتها انها تدل على ازدهار أدبى فى مصر فى الوقت الذى كان العالم فيه غارقا فى ظلمات الجهل • ولا تقتصر أهمية هذه النصوص على كونها تراثا أدبيـــا فقط بل تقدم لنا بعدا انسانيا للحضارة المصرية التى لا يعرف الشخص العادى عنها سوى المقابر والتوابيت والتماثيل • فالصورة التى نتمثلهـا ونحن نقرأ هذه النصوص تكذب ما يقال من أن المصرى القديم لم يكن يفكر الا فى الموت • فقد كان يحب الحياة حقا كما تدل على ذلك قصائد المحبين التى تشير الى تمتع مرهف بالجمال سواء فى المرأة أو فى الطبيعة • وكان فى الحب يصل بالمتعة الى أقصاها • ولا جديد تحت الشمس •

وتضج الكثير من هذه النصوص بالحياة ويتردد فيها اصداء النشوة والهناء والمرح ، فهى تتحدث عن رحلات الصيد والقنص فى أحراش الدلتا وأطراف الصحراء وعن الرقص والموسيقى والغناء • كما عرف المصرى القديم الأدب الروحانى وسما فيه الى قمم ناجى فيها الذات الالهية ، وأشعار اخناتون أبلغ دليل على ذلك •

والى جانب الشعر الوجدانى كان هناك شعر تغلب عليه النزعـــة الفلسفية ويبحث بصورة رمزية فى رحلة الانسان بين الميلاد والممات •

اللغة المصرية وتطورها :

وهناك تطور واضح فى لغة هذه النصوص خلال الفترة التى عمرها الأدب المصرى والتى تزيد على ثلاثة آلاف عام • فهناك ما نسميه بالمصرية القديمة وهى اللغة السائدة فى الاسرات الثمانى الأولى أى فى الفترة مابين ٣٢٠٠ و ٢٢٤٠ ق•م ثم المصرية الوسيطة فى عصرها الذهبى من الاسرة التاسعة حتى أوائل الاسرة الثـــامنة عشرة أى فى الفترة مابين ٢٢٤٠

و ١٥٧٠ ق.م تقريبا ، ثم المصرية الحديثة من منتصف الاسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة الرابعة والعشرين ، ما بين ١٥٧٠ و ٧١٥ ق.م ، وأخيرا الديموطيقية من عام ٧١٥ ق.م حتى عام ٤٧٠ ميلادية . ونستطيع أن نقارن العصور الثلاث الأولى أى المصرية القديمة والوسيطة والحديثة بالعربية فى العصر الجاهلى ثم فى العصر العباسى الثانى ثم فى يومنا الحالى .

أما عن كتابة هذه النصوص فهى اما بالهيروغليفية ، وهى توجد منقوشة على جدران المعابد وعلى التماثيل والمسلات أو مكتوبة على أوراق البردى ، أو بالهيراطيقية وهى كتابة تصويرية أيضا ولكنها مختصرة عن الهيروغليفية وتكتب عادة بالحبر على أوراق البردى وعلى الاوستراكا وأخيرا بالديموطيقية وهى كتابة سريعة ومختصرة عن الهيراطيقية . وآخر مرحلة للغة المصرية القديمة هى اللغة القبطية التى كتبت بحروف يونانية وبعض الحروف الديموطيقية .

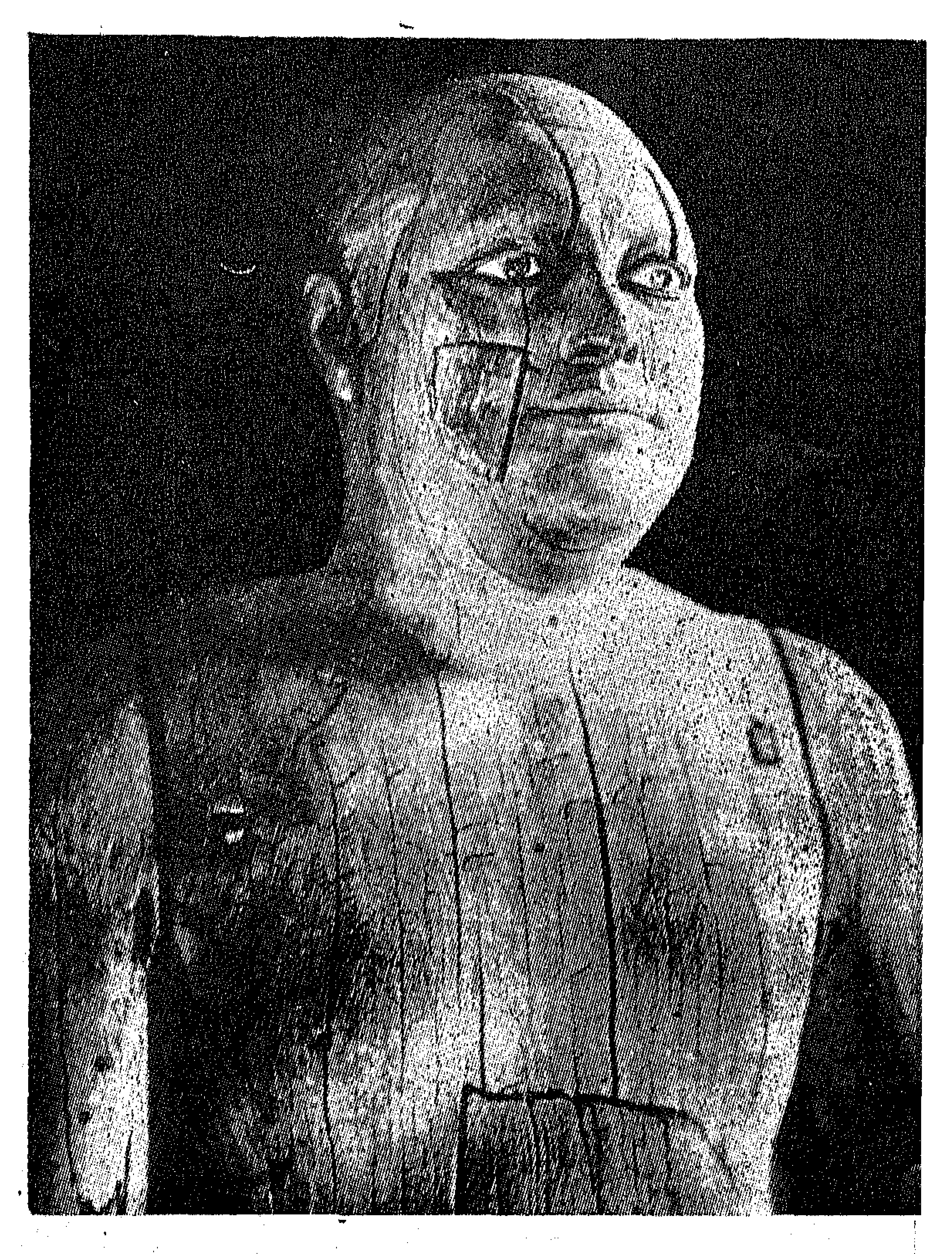
ولمعرفتنا بهذه اللغة والكتابات قصة طويلة ، فقد تضافر العلماء على محاولة حل هذه الطلاسم حتى استطاع عالم فرنسى يدعى شامبليون فى عام ١٨٢٢ أن يتوصل الى قراءة الهيروغليفية مستعينا فى ذلك بالنص المنقوش على حجر رشيد بالهروغليفية والديموطيقية واليونانية . وكان هذا بداية طريق طويل تكاتف فيه علماء الآثار الذين توصلوا لقراءة الهيراطيقية والديموطيقية كما توصلوا أيضا الى وضع معجم كبير للغة المصرية (بالألمانية) ثم اجروميات مختلفة يعتمد عليها دارسو المصريات. ولكننا مازلنا أمام صعوبات كثيرة فى اللغة المصرية . فهناك كلمات كثيرة لاتساعدنا حصيلتنا من النصوص على ان نعرف معناها على وجه التحديد، وكذلك فانه رغم الضوء الذى تلقيه اللغة القبطية على الفقه والنحو القديم، فمازالت معلوماتنا عن كثير من التركيبات اللغوية واللفظية تحتاج الى دراسة طويلة .

تاريخ الأدب المصرى القديم :

من عصر الدولة القديمة نعرف الكثير من نصوص التعاليم والحكم والنصوص التى تؤرخ حياة أصحاب المقابر والأناشيد الدينية والجنزية للملوك . والذى يميز هذا العصر هو الاسلوب الموجز الذى لا يخلو من رقة وبلاغة تتضح مثلا فى تعاليم الوزير « بتاح حتب » أو فى كثير من نصوص لوحات المقابر . أما عن نصوص الاهرامات وهى التى نقشت على جدران غرف دفن الملوك ابتداء من أواخر الأسرة الخامسة فى صقارة ففيها الكثير من القطع الأدبية المثيرة التى تتميز بقوة كلماتها وتعبيراتها . وعلى العموم فان الانسان يلمس فى كل هذه النصوص التى ترجع الى الدولة القديمة الهدوء والأمل القوى الذى يميز هذا العصر الذى كان فى فتوته بعد أن وضع المصرى الأسس القوية لحضارته العريقة والتى أعطته الرضا والثقة فى المستقبل .

وقد كان لتطور المجتمع والتغير السياسى الذى صاحب الثورة الأولى التى اندلعت فى نهاية الدولة القديمة أثر واضح على الأدب المصرى فى الأسلوب المختلف للقصائد . ومن هذا العصر دخل الأدب نوع جديد هو التأملات مثل كلام الحكيم « ايب ور » الذى يتحدث عن الاضطراب الخلقى والفوضى فى المجتمع ، مما مهد لنوع آخـــر من الشعر والنثر يتحدث عن اليأس والعزلة .

ومع محاولة ملوك «اهناسيا» فى الاسرتين التاسعة والعاشرة أن يعيدوا النظام والوحدة الى مصر بعد سنين التمزق الاجتماعى والخلقى والنفسى يظهر لنا نوع جديد من الأعمال التى تسيطر عليها الصفة الأدبية وهو نصائح الملوك التى يوجهونها الى ابنائهم . ومن أهمها نصـــائح الملك « خيتى » الى ابنه « مرى كارع » ذات المضمون السياسى الاخلاقى . ولقد صيغت هذه فى أسلوب أدبى رائع ، اعتبرها المصرى دائما من القطع المأثورة التى يحفظها الطلبة . ويجب ان نذكر أيضا نوع القصص المنتشر



تمثال خشبى لأحد الأشراف من عصر الدولة القديمة ويسمى الآن « شيخ البلد » وهو موجود بالمتحف المصرى بالقاهرة

فى هذا الوقت مثل القصة المشهورة باسم «الفلاح الفصيح» الذى تعرض للظلم والشكاوى التسع التى صاغها لسان هذا الفلاح الفصيح حتى رد الحق اليـــه ٠

واستتباب الحالة السياسية والاقتصادية يتبعه دائما ازدهار فى الفكر والأدب ٠ وينطبق هذا على عصر الدولة الوسطى حين استعاد الملوك بعد مجهود شاق السيطرة على مصر الموحـــدة اذ ذاك ولدينا شـــواهد كثـــيرة عن النهضة الأدبية فى ذلك العصر مثل قصـــة سنوحى والقصص الأخرى كالجزيرة المسحورة والملك خوفو والسحرة ٠ والقصة الأولى هى فى الواقع بداية نوع جديد من القصص التحليلى الذى يهتم ـ الى جانب سرد الاحداث ـ بدراسة نفسية البطل وتحليل مشاعره وذلك فى أسلوب قوى ، خال من الزخرف المبالغ فيه ٠ وهذه القصص ، مثل قصة الجزيرة المسحورة أيضا كانت تكتب لجمهور متعلم يتذوق الأساليب الفنية وهو جمهور يختلف الى حد واضح عن الجمهور الذى كتبت من أجله قصـــة الملك خوفو والسحرة ٠

وعلى العموم فان فن القصة يمكن ان يعتبر من أبواب الأدب الرئيسية فى هذا العصر ٠ هذا الى جانب الأبواب الاخرى مثل نصائح الملوك لابنائهم ونسوق على سبيل المثال القطعة المؤثرة التى يتحدث فيها « امنمحات » الاول عن الجحود والضياع الى ابنه سنوسرت ومثل أدب العزلة واليأس كما نرى فى النص المشهور الذى يروى صراع المتعب من الحياة مع نفسه٠

وجاءت الدولة الحديثة بعد أن نجح أمراء طيبة فى طرد الغازى الأجنبى (الهكسوس) وتأسيس الأسرة الثامنة عشرة التى شاهدت رخاء وثراء لم تعرف له مصر مثيلا من قبل ، وظهر فى الأدب أثر هذا الرخاء فى أسلوب كتابة النصوص الأدبية مما يتفق مع التغير المماثل فى الفن كالنحت والنقش والبناء ، وان ظل كل هذا فى أســلوب يميـــل الى الكلاسيكية ٠

واستمر الحـــال كذلك فى فروع الأدب حتى أتى « اخنـــاتون » الملك الفيلسوف الشاب الذى دعا بوحدانية الالـــه آتون ونادى بالحرية والبحث عن الحقيقة فى كل نواحى الحياة • ومن هذا الوقت تطورت اللغة تطورا كبيرا وظهر ما نسميه بالمصرية الحديثة وهى الى حد ما اللغـــة العامية التى كانت تستعمل من قبل والتى رفعت لتكون هى اللغة السائدة، وكتب بها الأدب مما أعطاه دفعة قوية لأنها اسهل من الكلاسيكية فهى طيعة تسمح للكاتب ان يعبر عن كثير من التفاصيل وخاصة بالنسبة للمشاعر الانسانية• نلمس هذا واضحا فى القصص مثل قصة الاخوين وقصة «ون آمون» المصرى الذى سافر الى آسيا فى مهمة رسمية وذاق الويل من بعده ومن معاملة الناس هناك ، ونلمس هذا أيضا فى الأناشيد الدينية المشهورة التى ألفها الملك « اخناتون » لاله الشمس • نلاحظ أيضا نفس الشىء فى نواحى الأدب الأخرى المزدهرة كالأناشيد الدينية عموما والأدب الفلسفى الخصب وسير المشهورين والنصائح والحكم مثل نصائح «آنى» و «آمن اوبت» الى جانب النصوص الرسمية عن الانتصارات التى حققها المصرى • ونذكر هنا بابا فى الأدب وصلنا منه الكثير ابتداء من عصر الأسرة التاسعة عشرة وهو باب شعر الحب •

وبعد الدولة الحديثة تقل معلوماتنا عن بعض انواع الادب على عكس الادب الدينى الذى ظل هو اللون السائد •

أما عن النصوص الديموطيقية التى نعرف منها الكثير مثل القصص والنصوص الدينية والسياسية فهى تدل على أدب قوى مهم ينبض بالحياة •

واكتفى بهذا العرض السريع لتاريخ الأدب المصرى راجيا أن يجد القارىء فى النماذج التى ترجمتها عن الأصل الهيروغليفى والهيراطيقى والتى تتضمنها أبواب هـــذا الكتاب ما يعطيه فكرة عن هـــذا الأدب الغزير الخصب •

وقد قسمت هذه النماذج الى أربعة أبواب :

قدمت فى الأول نماذج لشعر الحب وفى الثانى ترجمات للشعر الذى يغنى بمصاحبة القيثارة وفى الثالث عرضت للصلوات والابتهالات والتأملات وخصصت الباب الأخير للقصص .

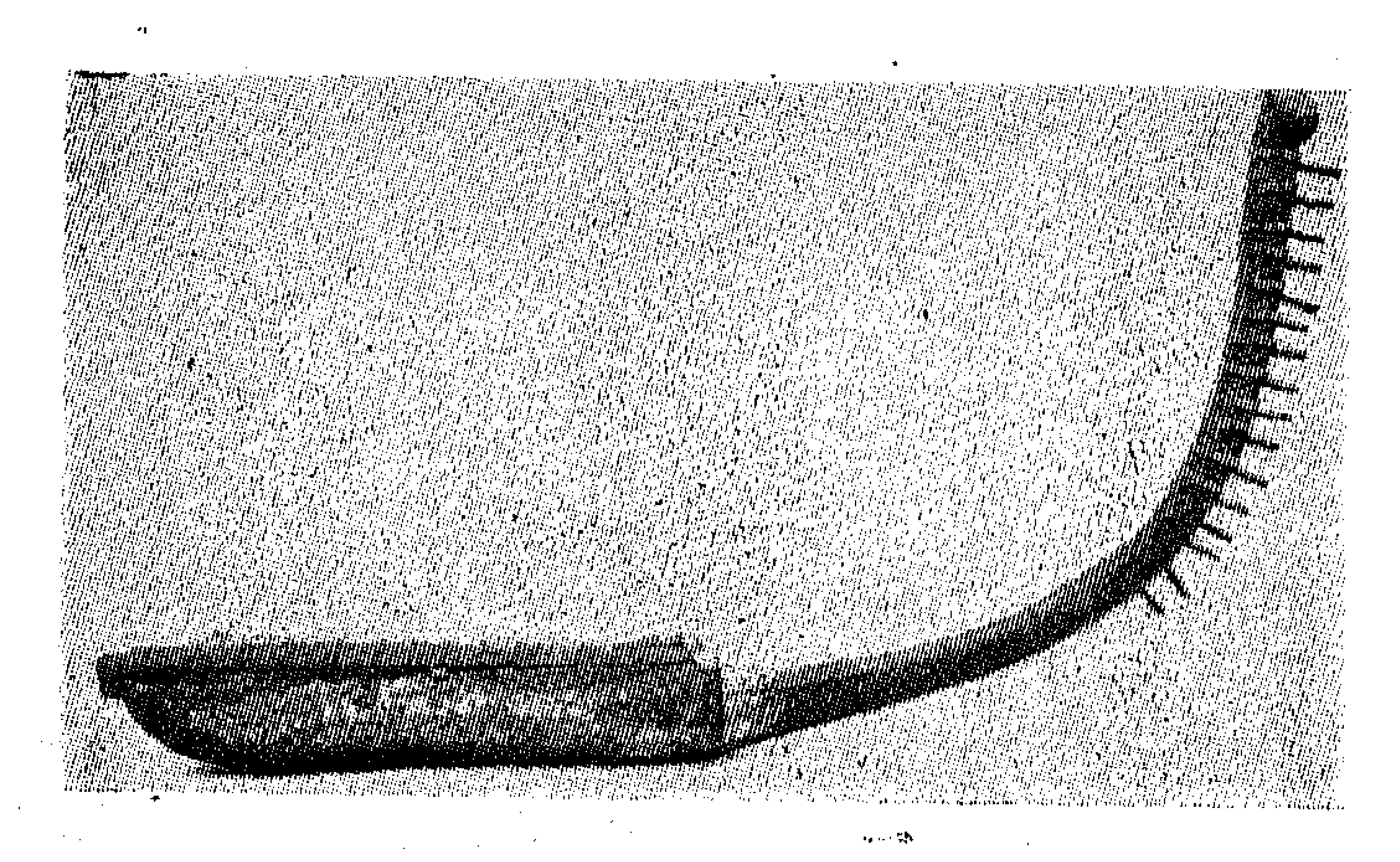
ترجمة النصوص الهيروغليفية والهيراطيقية :

ترجمة النصوص الأدبية عمل ليس بالسهل اذ كثيرا ما تفقد جانبا كبيرا من قوتها وجمالها بالنقل من لغة لأخرى لأن التحام اللفظ بالمعنى ركن أساسى فى كل أدب . ووضع المعنى فى كلمات اللغة الأخرى كثيرا ما ينال من شفافية العمل الأدبى . هذه الصعوبة تزداد أمام المترجم من الهيراطيقية والهيروغليفية لأن درايتنا باللغة المصرية كما اشرنا غير كافية تماما ومازال هناك ما يستعصى على الدارس . كما ان الهيراطيقية والديموطيقية - والهيروغليفية أيضا الى حدما - ليست دائما سهلة القراءة ويحتاج الانسان الى فحص الأصل مرارا حتى يتبين الكلمة المكتوبة ، ثم أن البردى المكتوب عليه هذه النصوص نالت منه يد الزمن كثيرا ، فبهت لون الحبر حتى ضاع أو كاد ، كما حدثت فيه فجوات اختفى ما كان مكتوبا عليها مما يكسر من سياق الكلام . وأخيرا فان النصوص نادرا ما تصلنا كاملة . وكثيرا ما ينقطع النص فى الوقت الذى يستحوذ فيه على مشاعرنا .

وقد قام علماء آثار أجانب بمجهود كبير وترجموا نصوصا أدبية الى الألمانية والفرنسية والانجليزية وغيرها مثل أرمان وماسبيرو ولوففر وجاردنر . ولكن أود أن أشير الى نقطة هامة وهى التقارب الواضح بين أسلوب النص المصرى وأسلوب كلامنا الدارج فى كثير من الأحيان وخاصة فى تركيب الجمل الاسمية ونظام الكلمات فيها ثم فى استعمال الاصطلاحات والتركيبات التى مازلنا نسمع مقابلا لها على لسان الشخص العادى فى مصر . ولا غرابة فى هذا فالعربية الدارجة فى مصر - بخلاف العربية الدارجة فى البلاد العربية الأخرى - ورثت عناصر كثيرة عن القبطية وهى كما أشرنا آخر مرحلة للمصرية القديمة .

هذا التقارب يجعل ترجمة النصوص المصرية الى العامية خطوة أولى تسهل فهم ما استعصى من هذه النصوص . ولا غرابة في ان العلماء الاجانب مثلا ــ ولا ألومهم فى هذا ــ لم يعرفوا معنى بعض العبارات التى يسبوقها النص المصرى مثل « تقبل يديك أربع مرات » الواردة فى نصوص هــذا الكتاب وهى القريبة من عبارة « تبوس ايدك وش وظهر » الدارجة وعبارة « آه يا عينى » فى شعر الحب ، وبالتالى لم يترجموها على الوجه الصحيح . ولهذا فانى فى ترجمتى عن الأصل المصرى حاولت ألا أبعد عن الترجمة الحرفية على قدر المستطاع حتى احفظ للنص أسلوبه وروحه .

وفى المكان الذى فقدت منه كلمات فى النص الأصلى أضع نقطا ، واذ أمكن ، بالمقارنة بنص آخر ، تكملة الكلمة أو الجملة الناقصة فانى أضع ذلك بين قوسين .



نموذج من الخشب لقيثار مصرى من عصر الدولة الحديثة

الباب الأول

شعر الحب



لدينا مجموعات كاملة من قصائد الحب . ورغم قلتها فانها تبين أن شعر الحب قد وصل الى شكل يدل على ممارسة طويلة . يؤكد ذلك اختيار اللفظ وتكوين العبارة . واذا قارنا لغة الشعر بلغة النثر وجدنا الأولى تمتاز على الثانية برقة اللفظ وموسيقيته وانسجامه . أما عن الصـــــورة الشعرية فنحن نعجب حقيقة اذ عرفنا أنها وصلت الى نفس المستوى الذى وصلت اليه الصورة فى الشعر الحديث . والأمثلة على ذلك كثيرة فى مجموعة قصائد « منف » التى تتحدث فيها الفتاة التى وقعت فى الحب عن الطائر والشرك والطعم والعبير والتعويذة وصيحات الطير والطيب الذى يحمله فى مخالبه .. ألخ ، كل هذه رموز تتحدث الفتاة خلالها عن حبها.

ما أبعد هذا الشعر عن شعر القرن العشرين الذى يتحدث عن الفجيعة والضياع والألم واليأس وغير ذلك من جوانب بغيضة للتجربة الانسانية .

فاذا ما عالج هذا الشعر الحديث موضوع الحب ، فهو حب ملوث بهذه الأوجاع ومثقل بالشعور بالذنب • أما الشعر القديم فهو كنسمة منعشة فيه براءة وطهر ونضارة وثقة وأمل وبساطة صادقة ، وفيه نسمع القلب يغنى والروح تشدو ، وفيه يترنم الشاعر بشعره وكأن الكون كله يشاركه فرحته وبهجته :

تبتهج الهة الذهب

فيشرق من جمالها الفجر

ومنف ،

صحفة

عليها تفاح الحب

لجميل الوجه •

وتجربة الانسان فى الحب يعرضها علينا الشاعر فى صدق لا يشوبه نفاق أو تكلف أو خجل ، كل شيء نظيف ليس فيه ما يشين • وتشمل هذه النظرة الصحية الحب والجنس •

هذا ما نشعر به حين نسمع الفتاة تقول لحبيبها :

يحلو لى

أن اذهب الى الحديقة

لاستحم

أمام عينيك

واتركك تملأ ناظريك

بجمالى



فى قارب صـــيد خفيف مصنوع من سيقان البردى تقف فتاة فى رداء من الكتان الأبيض الشفاف وهى تمسك بالزهور وبعض الطيور .

في ثوبى الكتانى الأبيض
وقد ابتل ٠

* * *

انزل الى الماء معك
واطفو ثانية لك
وعلى يدى سمكة حمراء جميلة
احملها لك
تعـــال
انظـــر الى ٠

وكان الحبيب ينادى حبيبته بكلمة « اختى » وهى تسميه « اخا » لها ، وهذا تعبير لفظى لاغير يقابل كلمة حبيبتى أو حبيبى الى جانب ما تتضمنه من قرب روحى واعزاز شديد ٠ ولهذا فقد استبدلت فى ترجماتى هنا كله « أخ » و « أخت » بكلمة « حبيب » و « حبيبة » ٠

وتشير الدلائل الى أن هذه القصائد هى جزء من الأدب الغنـــائى اذ كان يتغنى بها بمصاحبة الموسيقى ، ولا ننسى ان المصرى كان دائمـــا يحب الغناء والموسيقى والرقص التى كانت تحتل ركنا مهما فى حفلاته ومآدبه وسمره ٠ وكان يشدو بها مغن أو مغنية أو الاثنين معا ، كل بدوره ، كما يفهم ذلك من مجموعة قصائد « طيبة » ٠

أما عن الشعراء الذين ألفوا هذه القصائد فلم تحفظ لنا النصوص أسماءهم ٠ وجدير بالذكر هنا أن المصرى عرف كلمة « بيت » وهى « حت » بالمصرية وأطلقها على الفقرة أو المقطوعة وليس على البيت الذى نتعارف نحن عليه فى الشعر العربى ٠

« مجموعة منف الأولى »

هذه المجموعة من أشعار الحب مكتوبة على بردية هيراطيقية من عصر الأسرة التاسعة عشرة ، أى حوالى عام ١٣٠٠ ق٠م٠ ، وهى محفوظة الآن بالمتحف البريطانى بلندن ، ويعرفها العلماء باسم بردية هاريس رقم ٥٠٠ نسبة الى اسم الشخص الانجليزى الذى اشتراها من مصر منذ وقت طويل٠ ولكننى أفضل أن أطلق على هذه المجموعة اسم « مجموعة منف » لأن اسم هذه المدينة مذكور فيها ٠ وعنوان هذه المجموعة التى كانت تؤلف كتابا كاملا هو : « بداية الأغانى الجميلة لحبيبتك التى يحبها قلبك والتى تأتى اليك من المرج » ٠

تموج هذه المجموعة من القصائد بالازهار والعبير والطير والحركة ، وتتوالى فيها الصور الشعرية بكثرة ٠ تسير الفتاة فى المرج تخاطب الطيور التى تحوم حولها متخيلة أنها تكلم حبيبها ، ويسرح خيالها فترى نفسها وقد أصبحت لحبيبها فعلا ٠٠٠ ثم وقد هجرها ، وهنا تصور فزعها ولوعتها ٠

جاءت الفتاة للمرج تصطاد الطيور المهاجرة التى تأتى لمصر من بلاد « بونت » البعيدة وطن العطور والروائح الزكية ٠ ويهبط أول طائر الى شركها ويملأه بالعبير الذى تحمله مخالبه ، ولكن قلبها الملىء بالحب لا يسمح لها بأن تحبس الطير فتريد أن تطلق سراحه لتسمع صيحته حين ينطلق حرا ٠ آه لو كان حبيبها بجوارها ٠٠ :

حبيبى

قلبى يتمنى حبك

وكل ما تفكر فيه

هو لك .

انظـــر

ماذا فعلت

جئت اصطاد

بشرك فى يدى

* * *

تهبط طيور « بوتت »

محملة بالطيب

فى مصر

وأول طائر يهبط

يأكل طعمى

واظافره

فيها عبير

لكم أود

ان نطلقها معا ،

وحيدة انا بجوارك

حتى تسمع صيحات

طائرى المعطــر .

* * *



طفل يمسك بأغصان البردى بينما تحوم الطيور فى السماء

كم يحلو لى

ان تكون معى

وأنا انصب الشرك

فما اطيب الذهاب للمرج

مع المحبوب .

وترى الفتاة نفسها وهى أسيرة حبها فى الطائر الذى يصيح وقد أطبق عليه الشرك .

الأوزة البرية تصرخ

عندما يمسك بها الشرك

وهى على الطعم .

حبى لك

يمسكنى

ولكنى لا اقدر

ان افقده .

* * *

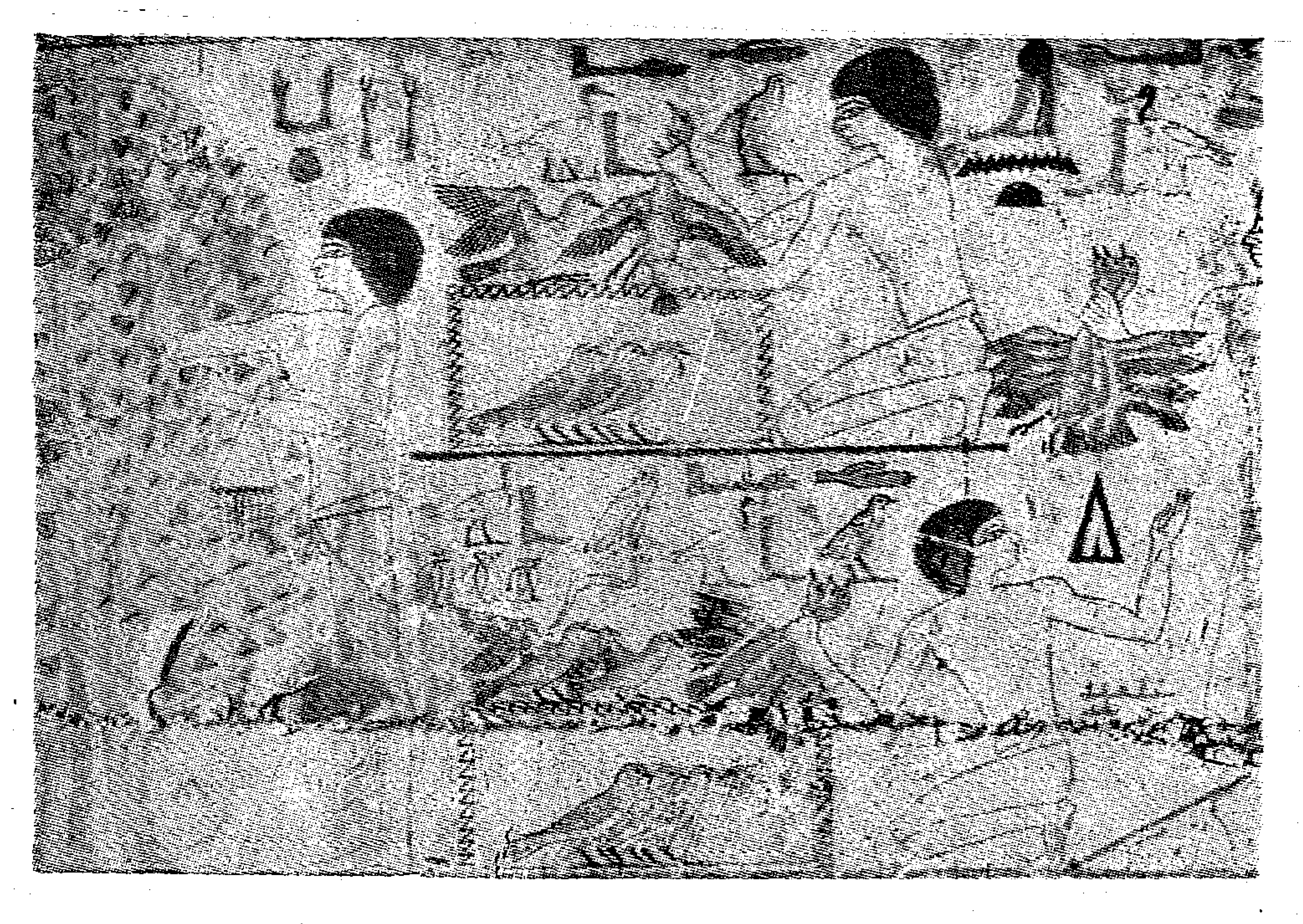
ساسحب شباكى

وأعـــود .

ولكن ماذا اقول لأمى

وكل مساء اعود اليها

محملة بالطيور



أحب المصرى الصيد وكثيرا ما تزين مناظر الطيور جدران المقابر

لسوف تقول لى « ماذا
ألم تنصبى اليوم
أى شراك ؟ ! »
آه ، أدار حبك رأسى ..

* * *

الأوز البرى
يطير ويهبط
جميعا تحوم
وهاهى الطيور
ولكنها لا تهمنى
فلدى حبك
لى أنا وحـدى
وقلبى يوائم قلبك
تمـــاما
ولن أبعـد
عن جمالك .

* * *

يا حبيبى ....
يتوقف قلبى فى .
الكعك اللذيذ أمامى
ولكن مذاقـــه

كالملح

فى فمى .

الشراب الذى كان حلوا

له الآن طعم مرارة الطير

عبير انفاســك

هو ما يحيى قلبى .

* * *

انى ارى

ان الاله آمون

أعطى لى الى الابد

دواما .

وتعود للحلم ثانية فتتخيل نفسها معه سعيدة ، وتؤنب الطائر الذى يوقظها فى الصباح بتغريده يريد ان يعرف أين تذهب اليوم ، ألا يعرف الطائر أنها وجدت حبيبها فى فراشه :

يا أجمل كل الناس

كم اود ان اشاركك

بيتك ، زوجة لك

كى تضع على ذراعى

ذراعك .

ولكنك ادرت عنى حبك .

اقول لقلبى بداخلى

غاب عنى حبيبى هذه الليلة
وأصبحت كمن فى القبر .

الست انت الصحة
والحياة ؟
ألا تاتى الى
ومعك الفرح
ألا تهمك
صحة قلبى ؟

* * *

صوت الطائر يغرد لى
ويقول : « جاء الصبح
أين تذهبين ؟ »
ـ « لا يا طائر ،
لا تضايقنى
وجدت أخى فى فراشـــه
وفرح قـــلبى .
قـــال لى
لن ابعـــدك عنى .
يـــدى فى يـــدك
أروح واجىء
معـــك

في كل مكــان بهيج »

سيجعـــل مني

أولى الجميـــلات

ولن يحـــزن قلبي

وبعد حلم التلاقي ينتابها الخوف من ان تفقده :

اظل الى باب داري أنظر

أيأتي حبيبي الي ؟

عيناي على الطريق

وأذناي تســـمع

حب حبيبي لي

هو همي الوحيد

وقلبي

معه لا يسكت

* * *

ها هو ذا

يبعث لي رســولا

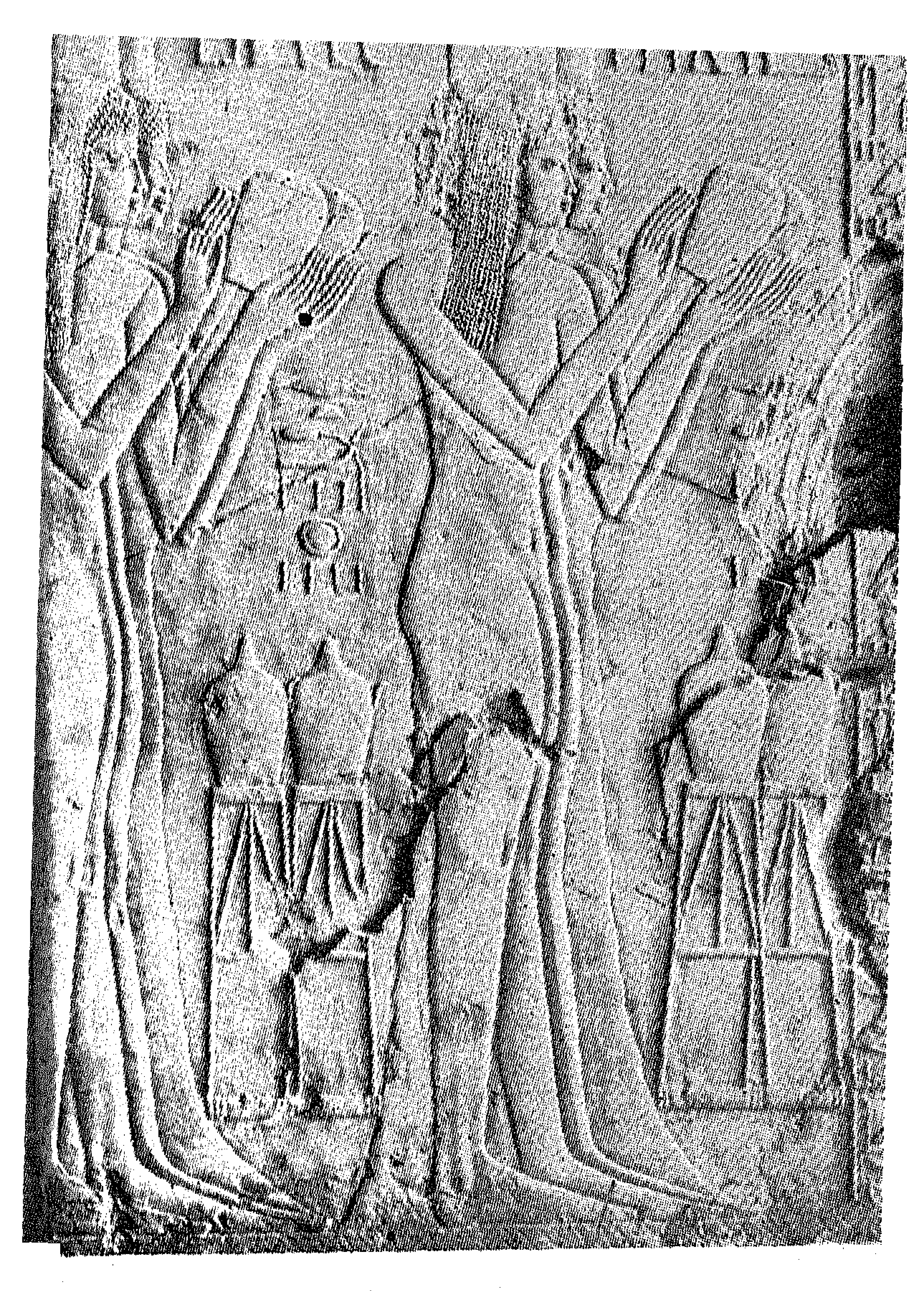
يجيء ويمضي مهرولا

ليقول :

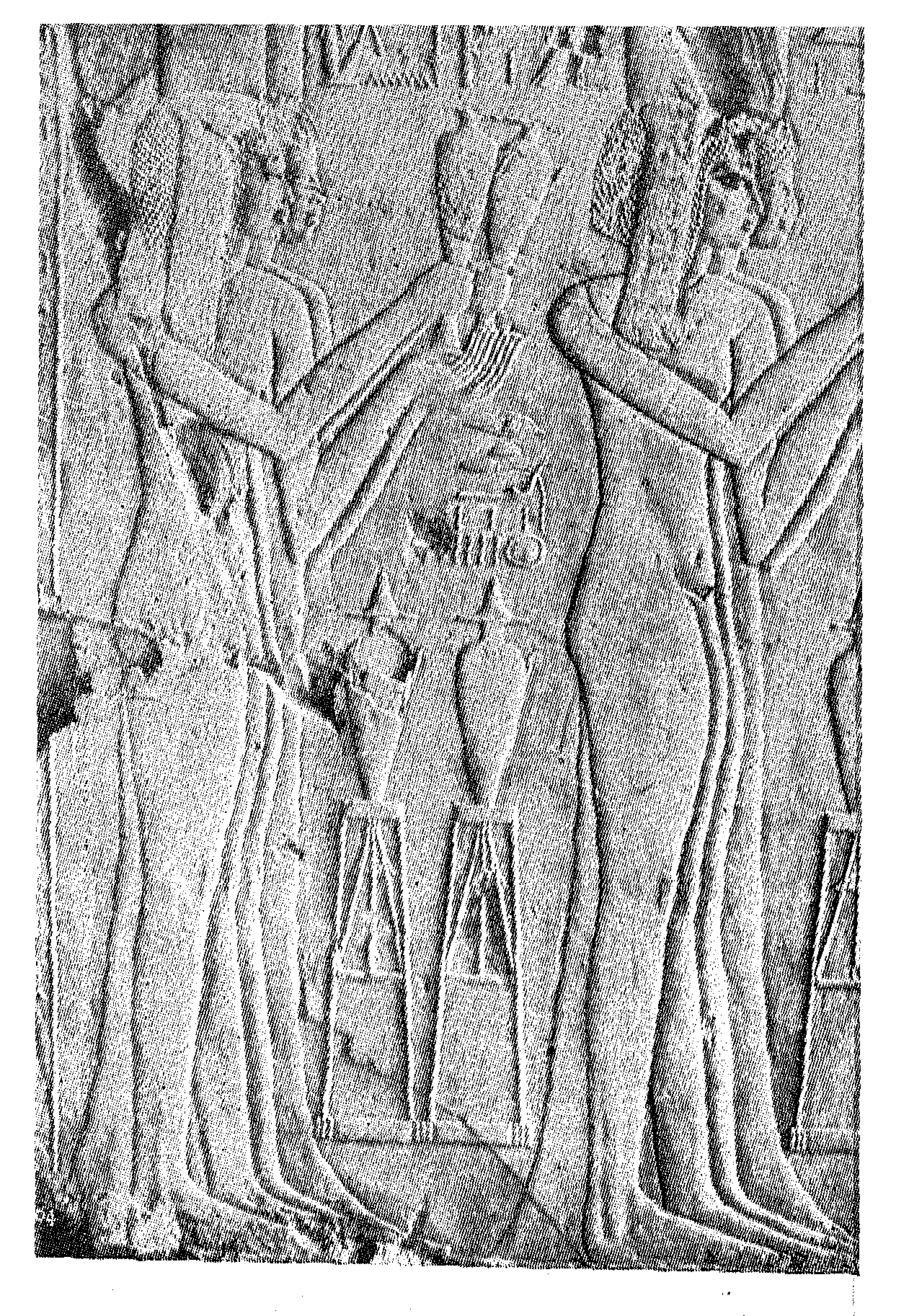
« اصابني مكروه !.. »

ـ « قل انك وجدت

حبيبة اخرى



منظر رائع من مقبرة « خرو اف » بالاقصر لاميرات



يسن الكتان الأبيض الشفاف ويقدمن آنية بها ماء مقدس

لماذا تجعل قلب امرأة أخرى
يتألم ؟
وأموت انا ؟ ! »

* * *

ويسترجع قلبي حبك
وبنصف شعرى مصفف
أهرع لابحث عنك .
لا يهمنى تصفيف شعرى
لسوف اصففه
ان كنت ما تزال حيا
حتى أكون على استعداد
لك
فى أى وقت .

« مجموعة منف الثانية »

فى هذه المجموعة المكتوبة على نفس البردية الهيراطيقية التى سبقت الاشارة اليها ، تتكرر أسماء الزهور فى عبارات الفتاة التى تتذكر حبيبها كلما نظرت الى شجرة أو زهرة . ولما كنا لا نعرف معنى أسماء الزهور بالمصرية فانى لا أورد مطلع القصائد الذى يحتوى على هذه الأسماء فى الترجمة :

تسعد قلبى
فافعل بى
ما تريد
حينما اكون بين ذراعيك .

* * *

حبيبى
دواء عينى
رؤياك نور عينى
استكن بجوارك هادئة
لأنى ارى حبك
يا من تسكن قلبى

يا اعظم الرجال •

يا لهناء ساعتى

التى ارتاح فيها معك

آه لو دامت الساعة

الدهر كله •

أنت حياة قلبى

ولكنى حزينة

فقد يهجرنى ! •

* * *

أنا حبيبتك الأولى

حديقتك

زرعت فيها الزهور

والنباتات ذات العبير

يصفو جدولها

الذى حفرته يداك

حين تهب ريح الشمال المنعشة •

فهو المكان الجميل

الذى اتنزه فيه

وعلى يدى

يدك

جسدى مستريح

وقلبى منتش

عندما نسير معا

عذب ان أصغى لصوتك

وانا أحيا

لأنى اســـمعه .

* * *

عندما أراك

كل نظرة

اطيب لى من أى طعام

او شراب .

* * *

وعندما تعود منتشيا

وتنام على سريرك

امسح قدميك

فالصحة والحياة

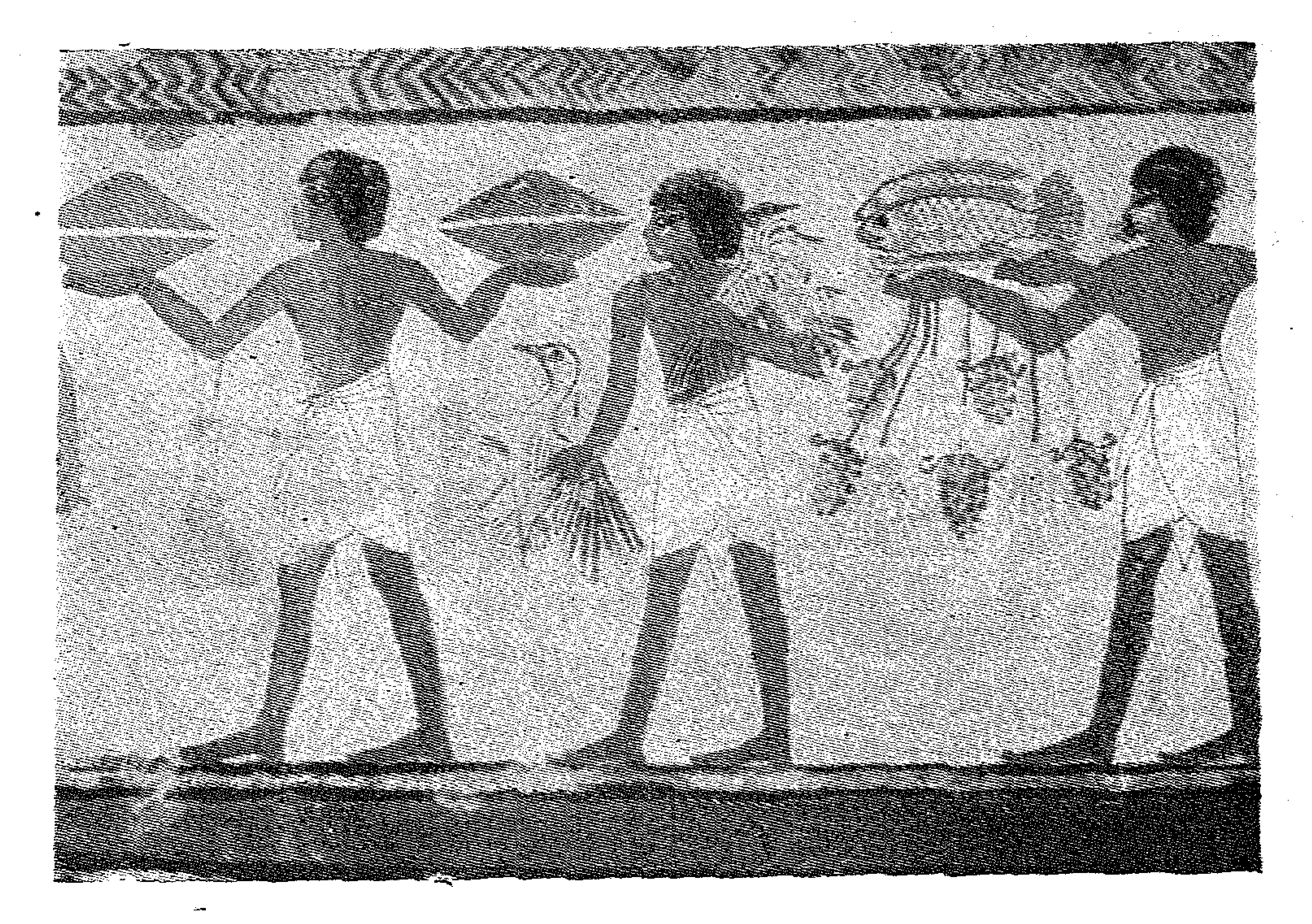
عندما ترجــع .

« مجموعة منف الثالثة »

على ايقاع المجداف
يسبح قاربى شمالا
وعلى كتفى حزمة بوص
ساذهب الى « منف »
واقول لرب الحق « بتاح »
« اعطنى الليلة حبيبتى »
النهر خمر
وبوص النهر هو الاله « بتاح »
وأوراقه هي الالهة القوية
وبراعمه هم رسل الاله
وزهره اله اللوتس .

* * *

وتبتهج آلهة الذهب
فيشرق من جمالها الفجر
ومنف ،
صحفة



اعتاد المصرى ان يحمل القرابين من الطعام والشراب والزهور الى مقابر من ماتوا ليجعلهم يشاركونه حياته ومتعته

عليها تفاح الحب

لجميل الوجه .

* * *

ألا تريد أن تمر بيدك فى حنان

على ســـاقى ؟

صدرى .... لك

أتمضى بعيدا عنى لتأكل ؟

أأنت نهم ؟

أتمضى بعيدا عنى لأنك ظمآن

هاك صــدرى

فيضه لك

صافى هو اليوم الذى ...

* * *

ان ... حبيبتى حديقة

تمتلىء ببراعم اللوتس

وصدرها يموج بفاكهة الحب

وذراعاها ...

وجبينها شرك منصوب للطير

وأنا اوزة برية

يجتذبها الطعم .

* * *

سأرقد فى دارى
مريضا بدون أن يلم بى داء .
سيدخل جيرانى لرؤيتى
وستأتى معهم حبيبتى
هى خير من كل الأطباء
لأنها تعرف دائى .

* * *

فى قصر حبيبتى
مدخل فى وسط الدار
بابه مفتوح
ستخرج حبيبتى غضبى
آه لو جعلونى حارس بابها
حتى تؤنبنى
واسمع صوتها
وهى غاضبة منى
وانا كطفل
خائف منها .

« مجموعة أوستراكا القاهرة »

هذه المجموعة مكتوبة على قطعة أوستراكا ومحفوظة حاليا بمتحف القاهرة تحت رقم ٢٥٢١٨ :

هناك

على الشاطىء الآخر

حب حبيبتى ،

وبينى وبينها

المـــاء

وتمســـــاح

على رمال الشاطىء

يكمـــن •

ولكننى الى الماء انزل

عليه اسير

وقلبى فوق المـــاء

جرىء •

واذا بالماء

أرض لقـــدمى •

فحبها يقوينى

هو تعويذة سحر لى
فى الماء

***

أرى حبيبتى
آتية
ويفرح قلبى
فى مكانه
ويستريح مثل ...
للابــد ،
عندما تأتى
الى سيدتى .

***

وعندما اضمها
وتفتح لى ذراعيها
كاننى فى « بونت » (١)
محاطا بالعطور

***

وعندما اقبلها
وتنفرج شفتاها
انتشى
بلا شراب .

---

(١) بونت هى البلد التى كان المصرى يجلب منهـا الروائح .

« مجموعة طيبة »

هذه المجموعة مكتوبة على بردية هيراطيقية اشتراها من الأقصر أجنبى يدعى « تشستر بيتى » وسميت البردية على اسمه • ولكنى أفضل ان أطلق على المجموعة اسم « مجموعة طيبة » حيث يرجع أصـــل البردية الى مدينة طيبة عاصمة الدولة الحديثة •

وتمتاز هذه المجموعة بكونها كتابا كاملا تام الحفظ ينقسم الى ثلاثة أقسام كل قسم من عدة مقطوعات •

ونورد هنا القسم الأول بمقطوعاته السبع ثم بعضا من القسمين الآخرين •

— ١ —

فريدة حبيبتى فى حسنها
ما مثلها احـد
أجمـل من كل النساء هى
مشرقـــة •
انظر اليها

كالنجمة الالهة (١)

فى مطلع العام السعيد ٠

ساطعة باهرة وضاءة البشرة

جميلة العينين حين تنظر

عذبة الشفة حين تتحدث

كلمة زائدة لا تقولها

طويلة العنق جميلة الثدى

شعرها لازورد أصيل

ذراعها يفوق الذهب

أصابعها ازهار اللوتس

مشدودة الخصر عند انسياب الردف

تزيد ساقاها من جمالها

تخطو على الأرض فى نبل

أسرت قلبى بعناقها

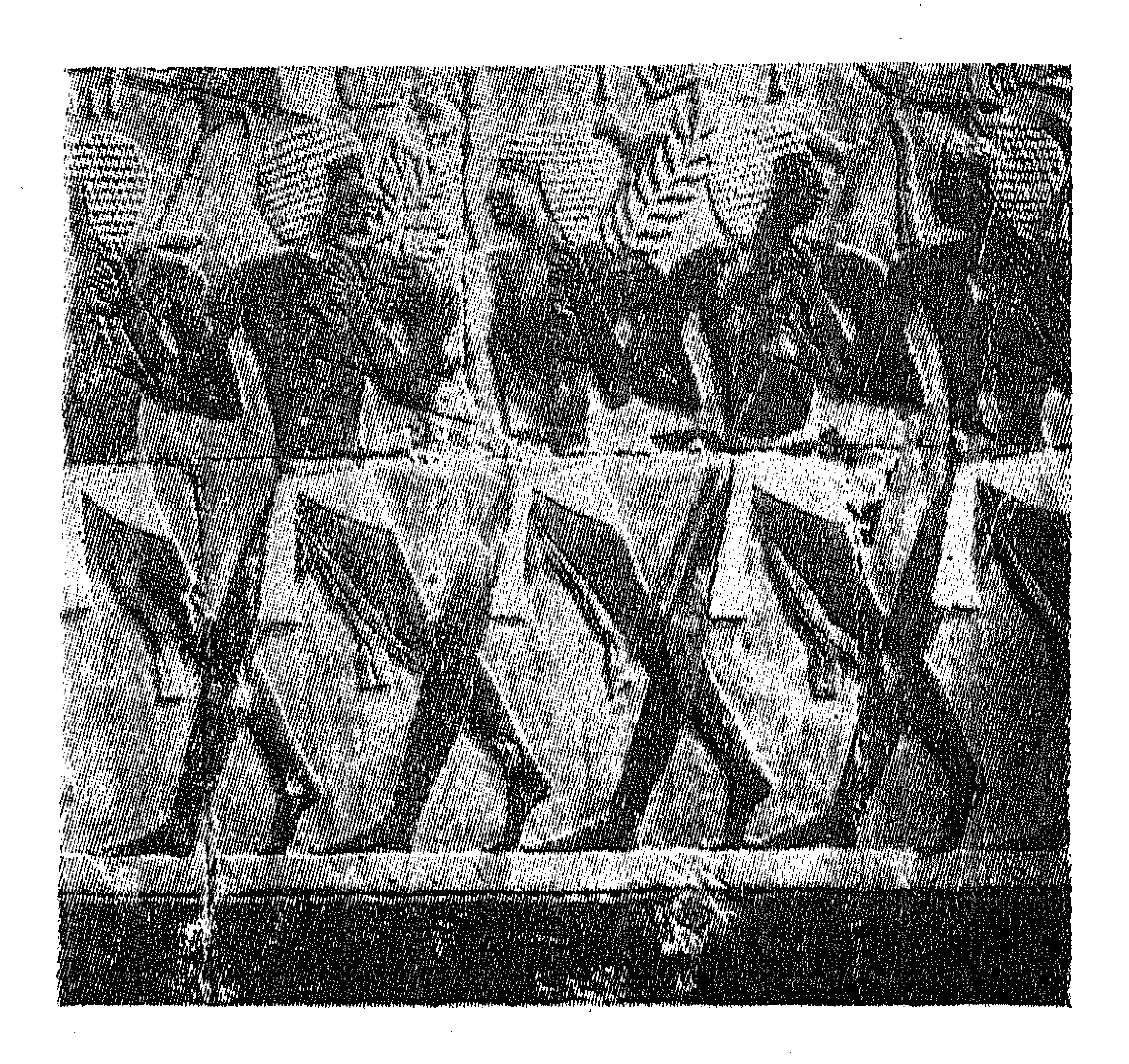
وأدارت رقاب كل العشاق

مشدوهين بجمالها

❊ ❊ ❊

---

(١) قدس المصرى النجم « سوبد » الذى يتفق ظهوره مع بدء الفيضان ويحدد بداية العام ٠ وكان ظهوره عيدا كبيرا ٠



جنود فى موكب رسمى وهم يحملون اعلاما واغصانا مع اسلحتهم .

- ٢ -

صوت حبيبى

يهز قلبى

يوجع جسدى

انه جار لبيت أمى

ولكنى لا أعرف كيف أذهب اليه ،

وأمى الطيبة

تنهرنى بسببه

ـ « كفى عن رؤياه

تضيق نفسى لذكراه ! »

ـ « يأسرنى حبه »

ـ لكنه لا عقل له »

ـ وأنا ، أنا أيضا مثله »

* * *

آه انه لا يدرى كم اشتاق ان أعانقه

والا لأرسل لأمى !

آه يا حبيبى

ليت الهة الذهب

ربة النساء

وعدتنى لك

تعال الى

لأرى جمالك

سيفرح بك أبى وأمى

والناس كلها

يبتهجون بك

يا حبيبى .

* * *

- ٣ -

فكرت فى رؤية « نفروسى » (١)

والجلوس فيه .

فى الطريق وجدت « محى »

راكبا عربته

مع خلانه من الشباب

لم أعرف كيف أسيطر على نفسى

امامه !

هل امر بجواره فى جرأة ؟

---

(١) اسم مكان

ـ « آه ها الطريق أصبح كالماء

ولا اعرف اين أضع قدمى »

ـ مجنون انت حقا

يا قلبى !

لماذا تواجه « محى » ؟ »

ـ « ان مررت امامه

ساخبره عن دوامتى

ساقول له

انظر ها انا لك ،

ـ « سيتباهى باسمى !!

وسيعطينى لأول واحد

من أتباعه ! »

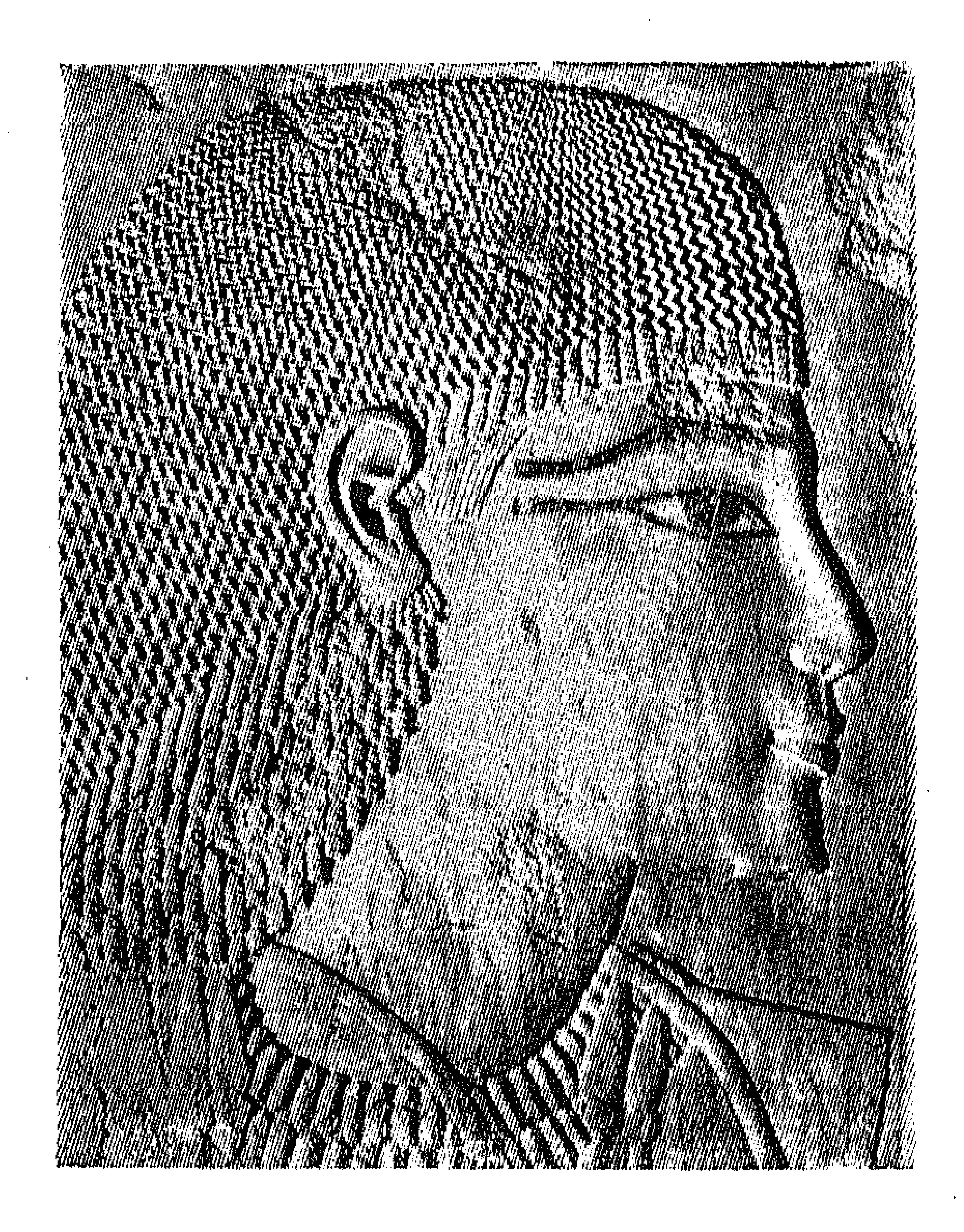
* * *

ـ ٤ ـ

حالا يشرد قلبى

حين افكر فى حبى

لك ،



« رع موزا » وكان وزيرا من وزراء الأسرة الثامنة عشرة
ومقبرته بالأقصر ·

لا يريدني

ان أعيش كغيري ·

فهو يهتز في مكانه

ويأبى حتى
ان أتناول ردائى
أو امسك مروحتى .
لا يرضى
ان اكحل عينى
أو أدهن بالطيب
جسـدى .
« لا تقفى هكذا
ادخـل »
هكذا يقول لى
كلما افكر فيه .
آه يا قلبى
لا تضايقنى
لماذا هذا الجنون ؟
استـرح
ابرد
حتى يأتى لك حبيبك .
آه يا عينى

هذا حال الكثيرين

لا تجعل الناس اذن يقولون :

« اضاعها الحب »

تجلد ، حين تذكره

يا قلبى

ولا تجفل .

* * *

– ٥ –

اعبد ربة الذهب

واعظم جلالتها

واكبر سيدة السماء

وامجد الالهة « حاتحور »

وامدح السيدة الالهية

تضرعت لهـــا

فاجابت طلبى

وأمرت لى بسيدتى

وجاءتنى طواعية لتلقانى •

ما أعظم ما حدث لى

أنا سعيد أنا فرح

أنا عظيم

منذ أن قالوا لى : « هاهى ،

انظر ، جاءت

يسجد لها العاشقون

من فرط حبهم لها »

ها أنا ارفع صلاتى

لالهتى

لتهبنى حبيبتى •

ثلاثة أيام مرت

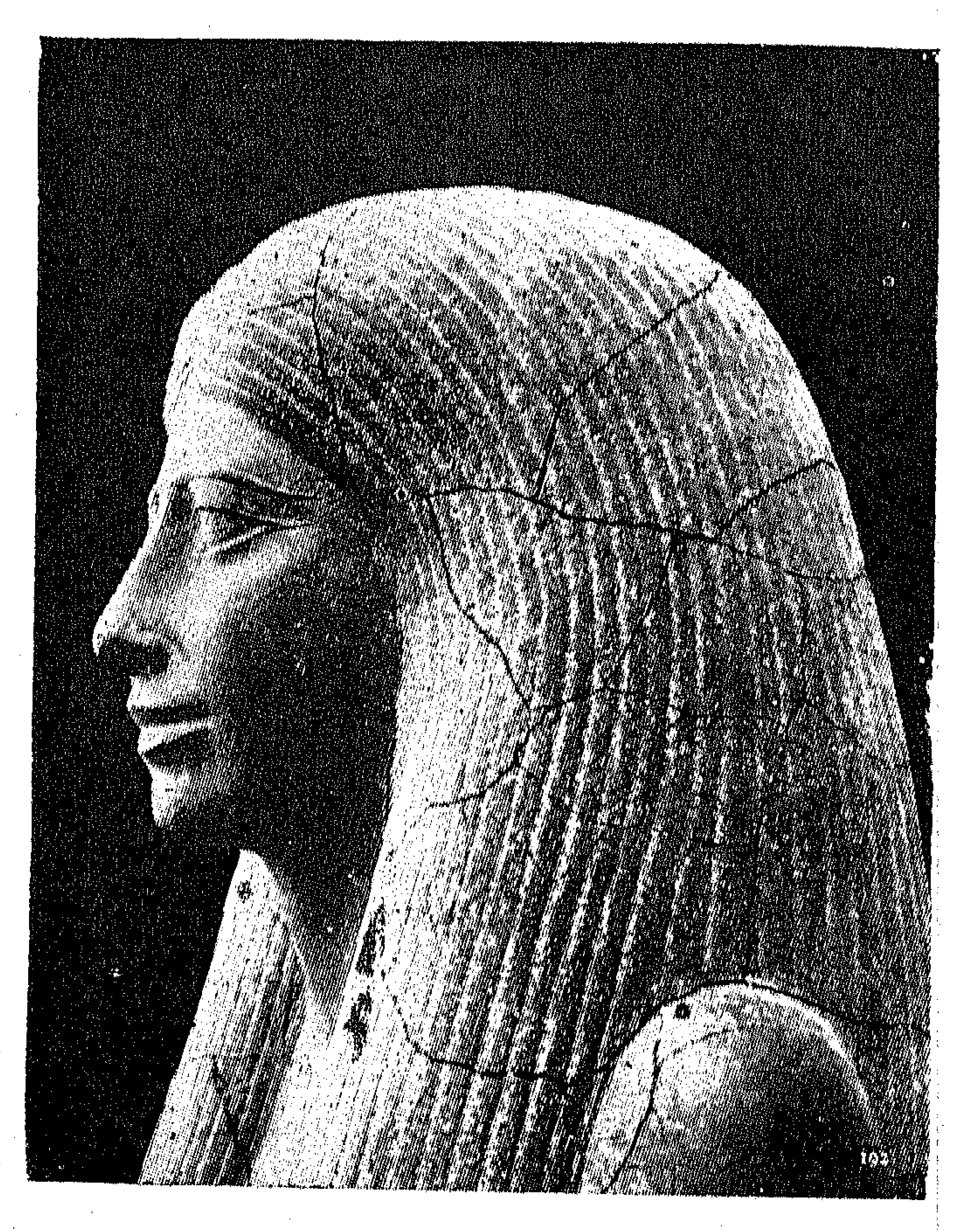
حتى امس

وأنا فى تضرعاتى

لاسم الهتى •

هجرتنى منذ خمسة أيام !

* * *



تمثال لاحدى سيدات المجتمع من عصر الدولة القديمة

مررت بجوار بيته

فرايت بابه مفتوحا

وكان حبيبى واقفا

الى جانب امه

وأخوته واخواته

جميعا معه .

جماله يأسر قلب

كل من مر من هذا الطريق ،

انه لفتى رائع ، حبيبى

كريم الخصال

نظر الى عندما مررت

وكنت وحدى

يا لفرحى ونشوة قلبى

بالسعادة

منذ نظر الى .

آه لو علمت أمه بما فى قلبى

لدخلت البيت حالا !

ياربة الذهب

ضعى رغبتى هذه فى قلبها

حتى اسرع لحبيبى

واقبله امام اهله ،

لن ابكى من الناس

بل سافرح ،

لانهم سيرون انك تعرفنى

وساحتفل بعيد الهتى .

كم يتمنى قلبى ان اخرج

الليـــلة

كى يرانى حبيبى

يا للحلم الجميل

الزائل !

* * *

- ٧ -

سبعة ايام حتى امس !

ثم ار حبيبتى .

تملكني الداء

وثقلت أطرافي

كأنما اهملت جسمي .

اذا عادني مهرة المداوين

لا يرتاح قلبي لدوائهم ،

ومرتلو كتاب الاله

مالي طريق بينهم ،

فلا يعرف احد دائي .

قلت لنفسي

ان ما يحييني

هو اسمها ،

فهو منقذي .

لو نظرت الى

اخضر جسمي .

ولو تكلمت

اشتد ساعدي .

اضمها

فتطرد دائي .

منذ سبعة أيام
هجرتني !

* * *

من مقطوعات القسمين الأخيرين في بردية طيبة :

آه لو استطعت
ان تأتي لحبيبتك مسرعا
كغزال يقفز في الصحراء ،
تضطرب حوافره
وتضعف سيقانه
ويدب الخوف في جسمه
فالصياد وراءه
ومعه كلابه
التي لم تجد (بعد) اثاره .
ويرى مأوى
ويأخذ النهر (عدوا) كالطريق !
ستصل أنت الى مخبئها (١)

---

(١) ربما يعني هذا المكان الذي تنتظره فيه حبيبته .

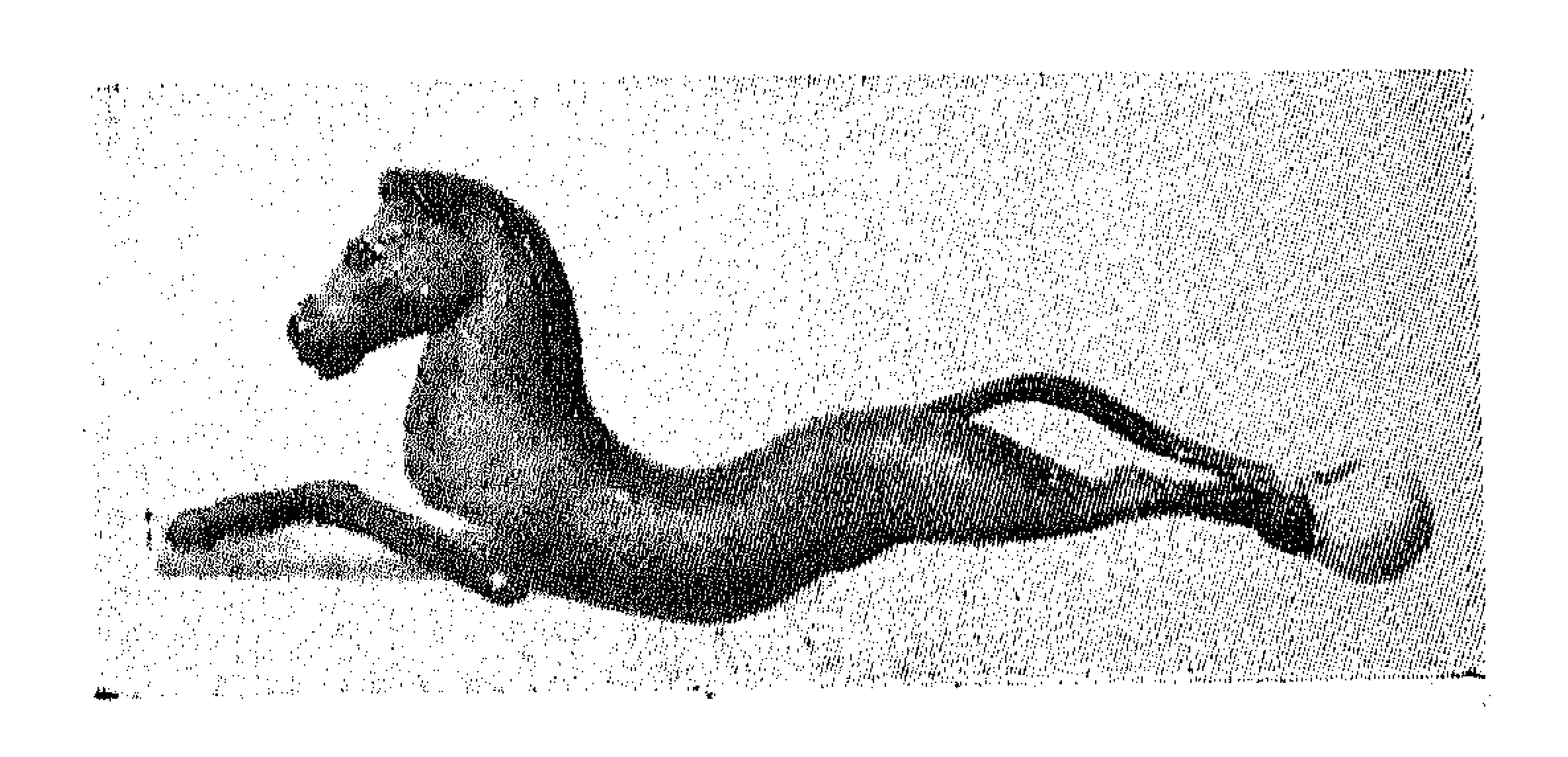
وتقبل يديك أربع مرات

لأنك وراء حب حبيبتك

التى وعدت الالهة الذهبية

بها لك

يا حبيبى



مع القيثار

أحب المصرى مجموعة من الأشعار تعود ان يسمعها مع عزف القيثار ، ولذلك تسمى بأناشيد العازف على القيثار • وهى تحث الناس على التمتع بالحياة ونسيان الموت • وكثيرا ما نرى منحوتا على جدران المقابر صورة عازف ضرير يجلس أمام قيثاره وهو ينشد الأشعار التى تكتب عادة أمام صورته •

وقد اخترنا هنا بعضا من هذه الأشعار :



على أنغام القيثار يشدو العازف الضرير بأناشيد تحث على نسيان الموت ،
هذه الأناشيد مع رسم العازف نفسه موجودة فى بعض مقابر الأقصر .

- ١ -

كم استراح هذا السيد الطيب

فقد حدث له المصير الجميل ،

يمر جيل

وتبقى اجيال

منذ زمن الأولين .

والملوك الذين حكموا من قبل

فى اهراماتهم يستريحون ،

وكذلك النبلاء والمعظمون

فى اهراماتهم مدفونون

والذين بنوا بيوتا

لم يعد لأماكنها اثر .

ماذا حدث لهم ؟

لقد سمعت ما قال « امحوتب » (١)

و « حور ددف » (٢)

الذين يردد الناس كلماتهم .

---

(١) ، (٢) هما من حكماء مصر القديمة .

أين راحت منازلهم ؟

انهارت جدرانهـــا

وزال اثرهم

كانهم لم يكونوا .

فمن هناك لا يرجع احد

حتى يحدثنا عن احوالهم ،

يخبرنا بما هم فى حاجة اليه

ويريح قلوبنا

حتى نصـــل نحن

للمكان الذى ذهبوا اليه .

فليفرح قلبك

كى ينسى

يوم تقام لك الشعائر الجنزية .

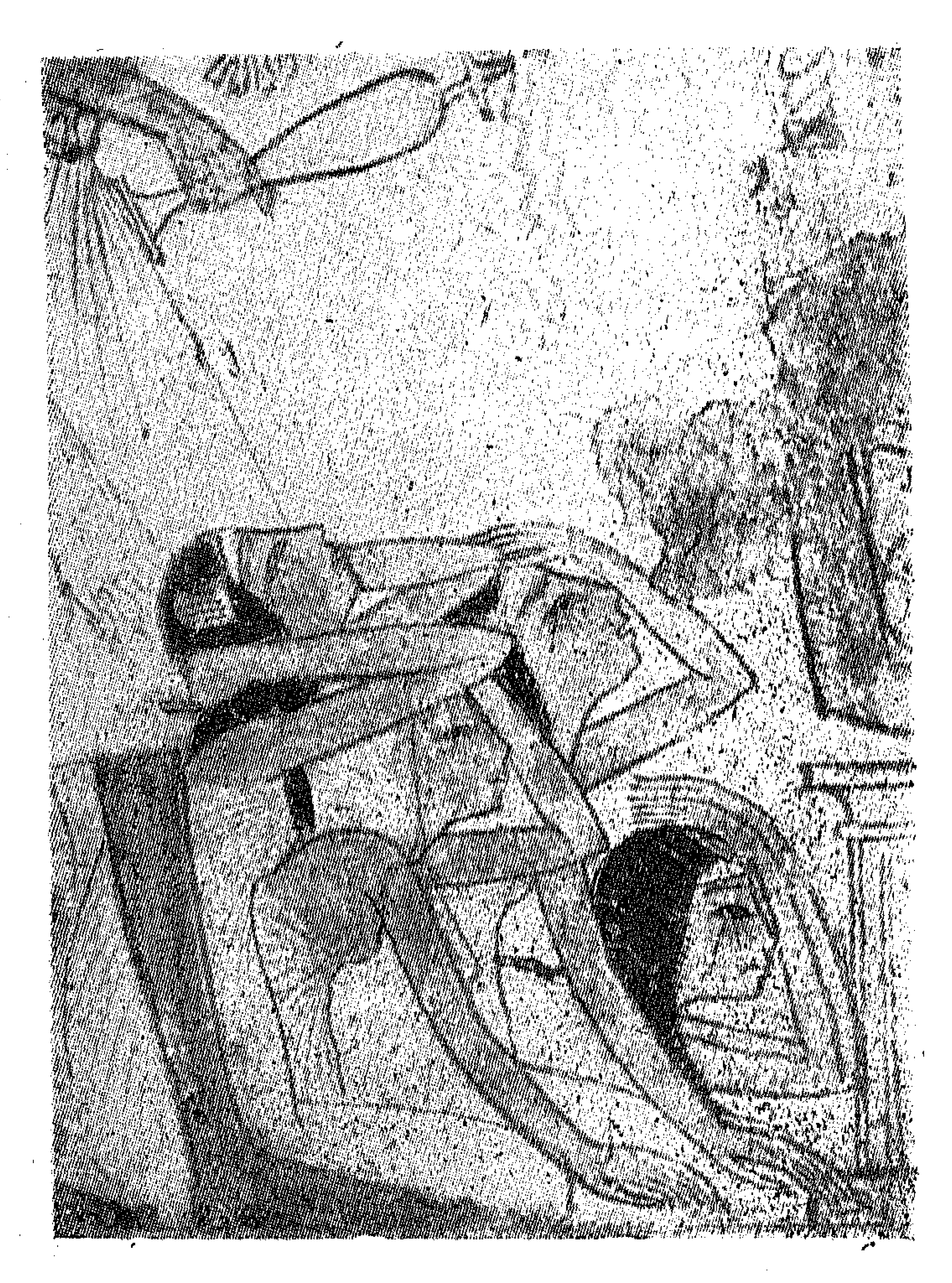
اطع قلبك مادمت حيا

ضع العطر على رأسك

والبس فاخر الكتان

وتزين بالنفائس الحقيقية

التى للاله .



باكيات

زد فى سعادتك اكثر واكثر

ولا تدع قلبك يحزن .

اتبع هواك وتمتع

وافعل ما شئت على الأرض

لا تعارض قلبك

حتى يحين يوم النحيب

حين لا يسمع « صاحب القلب الهادى » (١) عويلهم

فلا يخلص البكاء انسانا من العالم السفلى .

* * *

مرد : امض يوما سعيدا

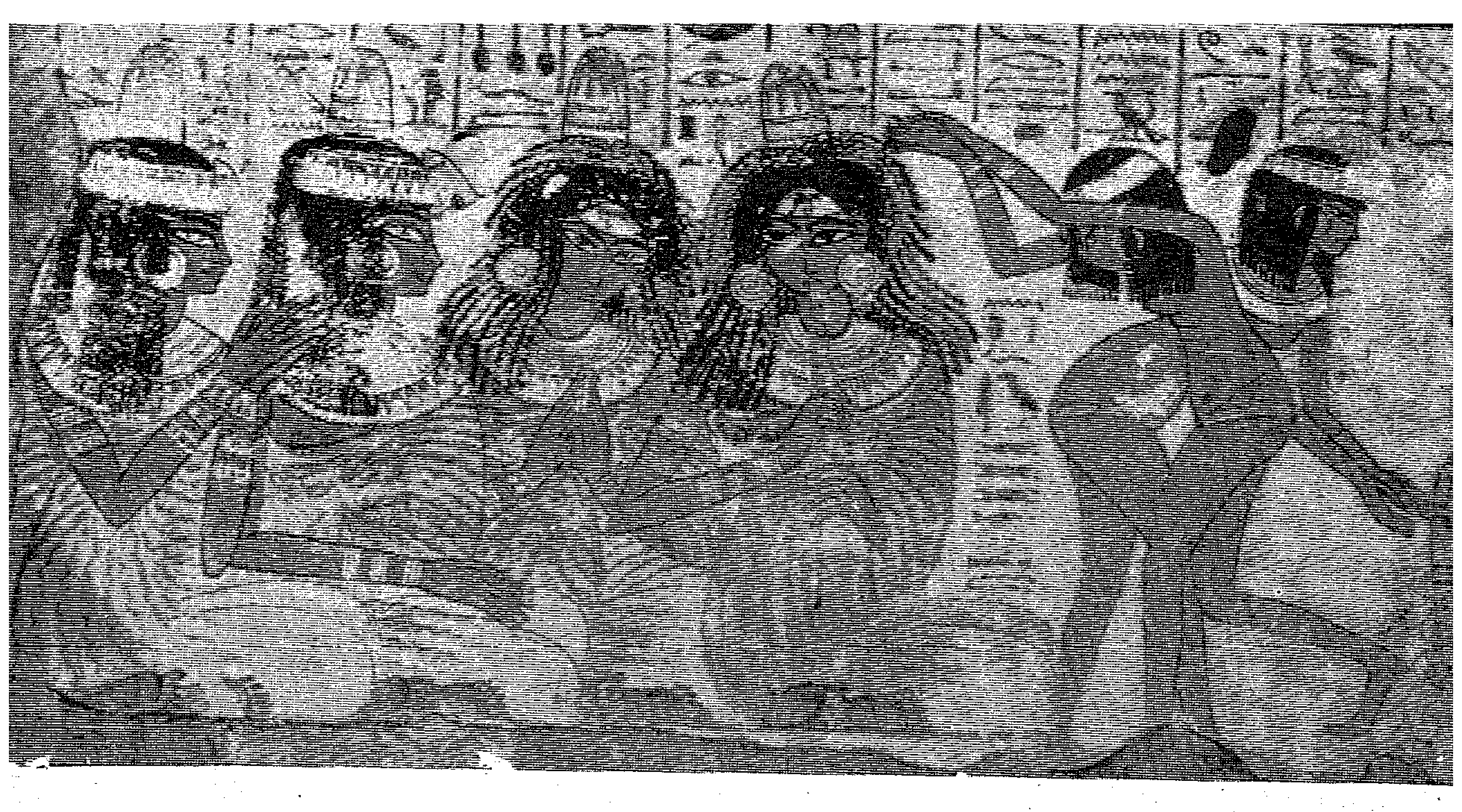
لا تدع قلبك يحزن

انظر لا يأخذ احد معه ما يملك

انظر لم يرجع احد ممن رحلوا !

---

(١) الاله اوزيريس اله العالم الآخر .



رقص على أنغام الموسيقى والغناء

- ٢ -

« نفرحتب » وزوجته يجلسان أمام مائدة قرابين وعازف القيثـــار ينشد :

كم استراح هذا السيد الطيب

فقد حدث له المصير الجميل .

تمر الأجساد منذ زمن الآلهة

وتاتى مكانها اجيال جديدة .

الشمس تظهر فى الصباح

وأتوم (١) يستريح فى الجبل الغربى .

الرجال تنجب

والنساء تلد

وكل انف يتنسم الهواء

وعند الفجر يذهب اطفالهم للقبر

امض يوما سعيدا يا خادم الاله

استنشق البخور والعطر الطيب

ضع اكاليل اللوتس وزهر « ررمت » (٢) على صدرك

---

(١) اتوم هو الشمس الغاربة .

(٢) لا نعرف أى نوع من الزهر هذا .

بينما بجوارك زوجتك التى تحبها

ضع الغناء والموسيقى امامك

الق بالهم خلفك

وتذكر الهنـــاء

حتى ياتى يوم نزولك ذاك

الى الأرض التى تحب الصمت •

امض يوما سعيدا . يا « نفرحتب » المبجل

يا خادم الاله يا نقى اليدين •

سمعت ما حدث للذين مضوا

بليت مبانيهم

ولم يبق لمنازلهم اثر

كانهم لم يكونوا

منذ زمن الآلهة •••

على شاطىء بحيرتك

فلتجلس روحك تحتها

وتشرب من مائها

اتبع قلبك تماما •

- ٣ -

أقول

انا ذاك السيد الطيب

بعد هذا المصير الجميل

الذى به شاء الاله نفسه .

تموت الصورة التى ظهرت فى هذا الجسم

منذ زمن الاله

وتأتى اجيال جديدة فى مكانها ،

الأرواح والأطياف الموجودة فى العالم السفلى

والموميات كذلك

من بنى بيوتا ومقابر ايضا

كذا من يستريحون فى اهراماتهم

ابن لك فى الأرض المقدسة مقبرة

حتى يبقى اسمك فيها

وتعرف فى المقابر أعمالك

ويبقى لك فى الغرب مكانا فريدا .

كما ينزل التيار فى النيل شمالا

وتهب ريح الشمال جنوبا

هكذا يمضى كل الى ساعته ...

لاتدع قلبك يحزن ابدا ابدا

انت وزوجتك .

لا تغضب قلبك طالما عشت

امض يوما سعيدا جدا جدا

ضع البخور والعطر النقى حقا بجانبك

واكليل اللوتس وزهر « ررمت » على صدرك .

المرأة التى تحبها تجلس بجوارك

فلا تغضب قلبك مهما حدث شىء

ضع الموسيقى امامك

ولا تذكر الشر

فهو ما يكرهه الاله

اذكر الفرح ،

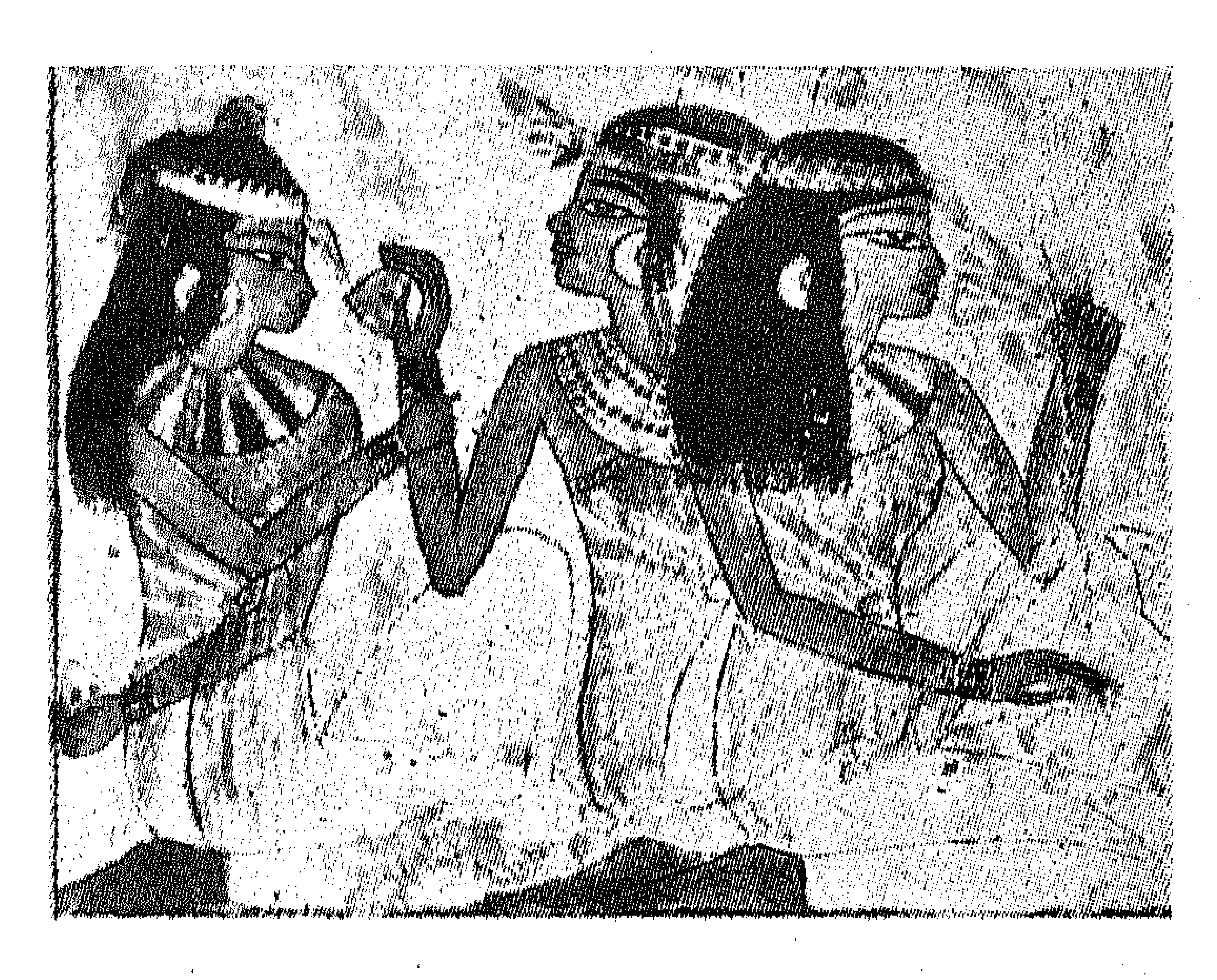
أنت الطيب العادل الصادق

الهادىء الصديق المسرور القانع

السعيد الذى لا يتكلم بالشر

لينتش قلبك دواما

حتى ياتى ذلك اليوم الذى فيه تنزل



سيدات المجتمع فى عصر الدولة الحديثة وهن يجلسن فى احتفال

- ٤ -

ايها السادة المبجلون

وتاسوع ربة الحياة

اسمعوا كيف تقال الصلوات

لخادم الاله هذا

ويتلى المديح للروح المكرمة

لهذا المشرف المبجل

وقد أصبحت الآن الها

تحيـا للأبـد

مكرمة فى الغرب ،

سيبقى هذا ذكرى للاجيال المقبلة

ولكل من ياتى ،

سمعت هذه الأناشيد

المكتوبة فى قبور من مضى

وما يقولون

فى تعظيم الحياة فوق الأرض

مقللين من شـان العـالم الآخر

لماذا يفعلون هذا ضد ارض الخلود

العـادلة الطيبة ؟

حيث لا خوف

وحيث لا يستحب الخصـام

ولا يتحصن الانسـان ضد زميله

فى هذه الارض التى لا عدو بها

هنا يرتاح ابناؤنا

منذ أول الزمن

وكل من سيولد

ملايين وملايين

سيأتى اليها الكل

فليس هناك من سيتخلف فى أرض مصر

وليس هناك من لن يقترب منها ٠

* * *

وطول العمر

على الأرض

حـــلم ٠

يقال لمن جاء للغرب

« اهـــلا

سلمت وعوفيت ٠ »

* * *

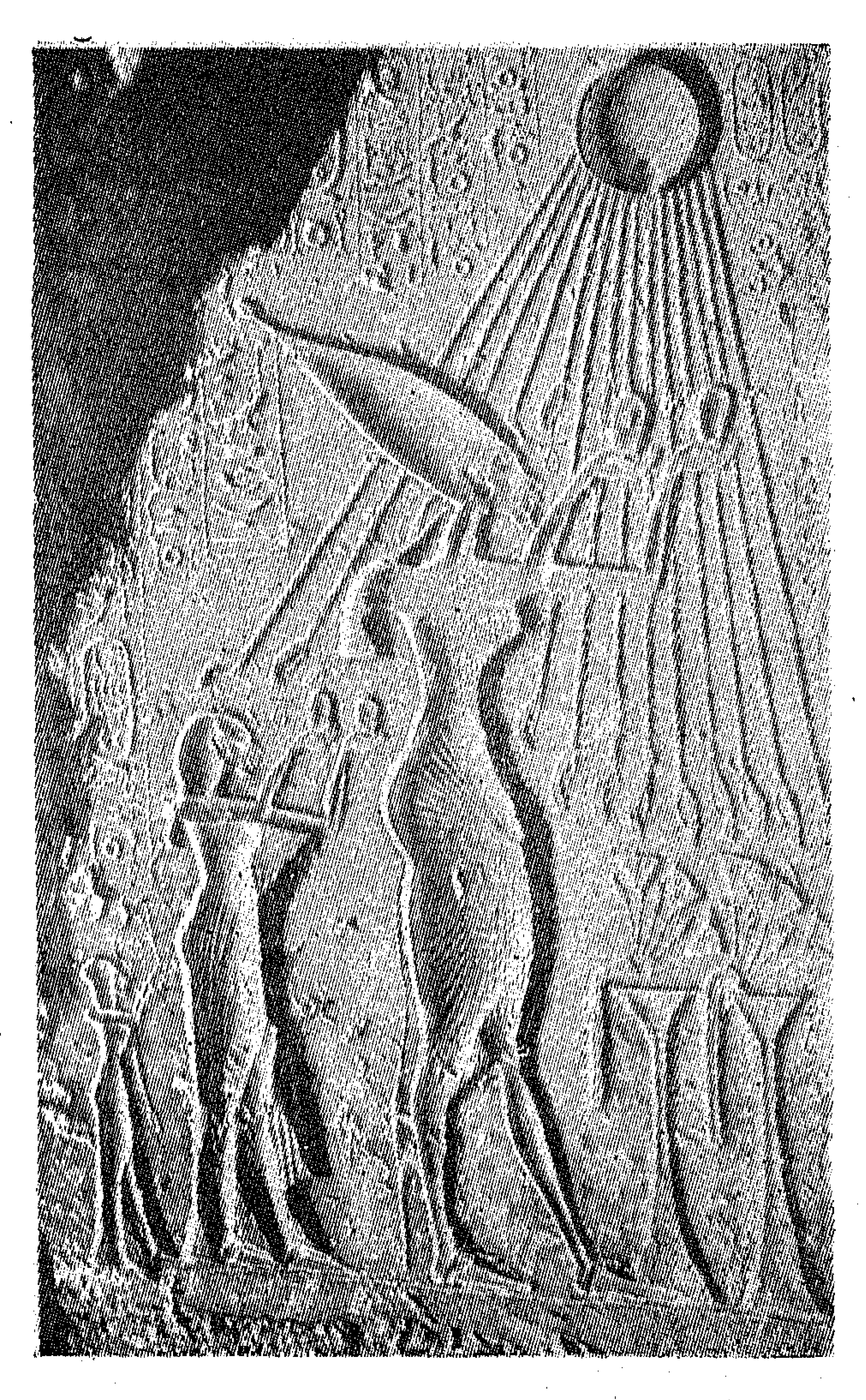
الأدب الدينى

الصلاة تعبير عن الوجدان • وكان وجدان المصرى الدينى عميقـا طوال تاريخه ، وصلاته تعبر ببلاغة عن هذا •

وقد اخترنا من هذه الصلوات أمثلة متباينة ، صلوات يهتم فيها بالناحية اللاهوتية مثل صلوات اخناتون الى الاله « آتون » الاله الأوحد الذى يرمز اليه قرص الشمس وصلوات ماهى الا تعبير انسانى بسيط عن تجربة انسان مر فى محنة ، أو طلب العون من الاله •

* * *

من صلوات اخناتون نقدم هنا ما يسمى بالنشيد الصغير ثم فقرات من النشيد الكبير •



اخناتون يصلى لالهه آتون الممثل فى قرص الشمس ويقدم له اوانى الزيت المقدس وتشترك معه زوجته الملكة نفرتيتى واحدى الأميرات .

- ١ -

النشيد الصغير وهو مسجل فى بعض المقابر فى تل العمارنة وهو ما كان يتلى فى معابد الشمس فى تلك المدينة :

تشرق جميلا يا آتون الحى

يارب الابدية .

انت ساطع جميل قوى

وحبك عظيم واسع .

تعطى اشعتك أعينا لكل ما خلقت

نورك يزدهر

فيعطى حياة للقلوب

وتملأ البلدين (مصر) بحبك

أيها الاله النبيل .

يامن خلق نفسه بنفسه ،

وصنع الأرض كلها ،

وخلق ما عليها ،

الناس والحيوانات

مستأنسة ومتوحشة ،

والأشجار التى تنمو على الأرض ،

يحيا الكل عندما تزدهر لهم

فأنت أب وأم

لكل ما خلقت .

* * *

انت واحـد

ولكن لديك ملايين من صور الحياة

حتى تحيى المخلوقات .

ونسمة الحياة لهم

أن يروا اشعتك .

* * *

قوتك وعظمتك

ثابتتان فى قلبى

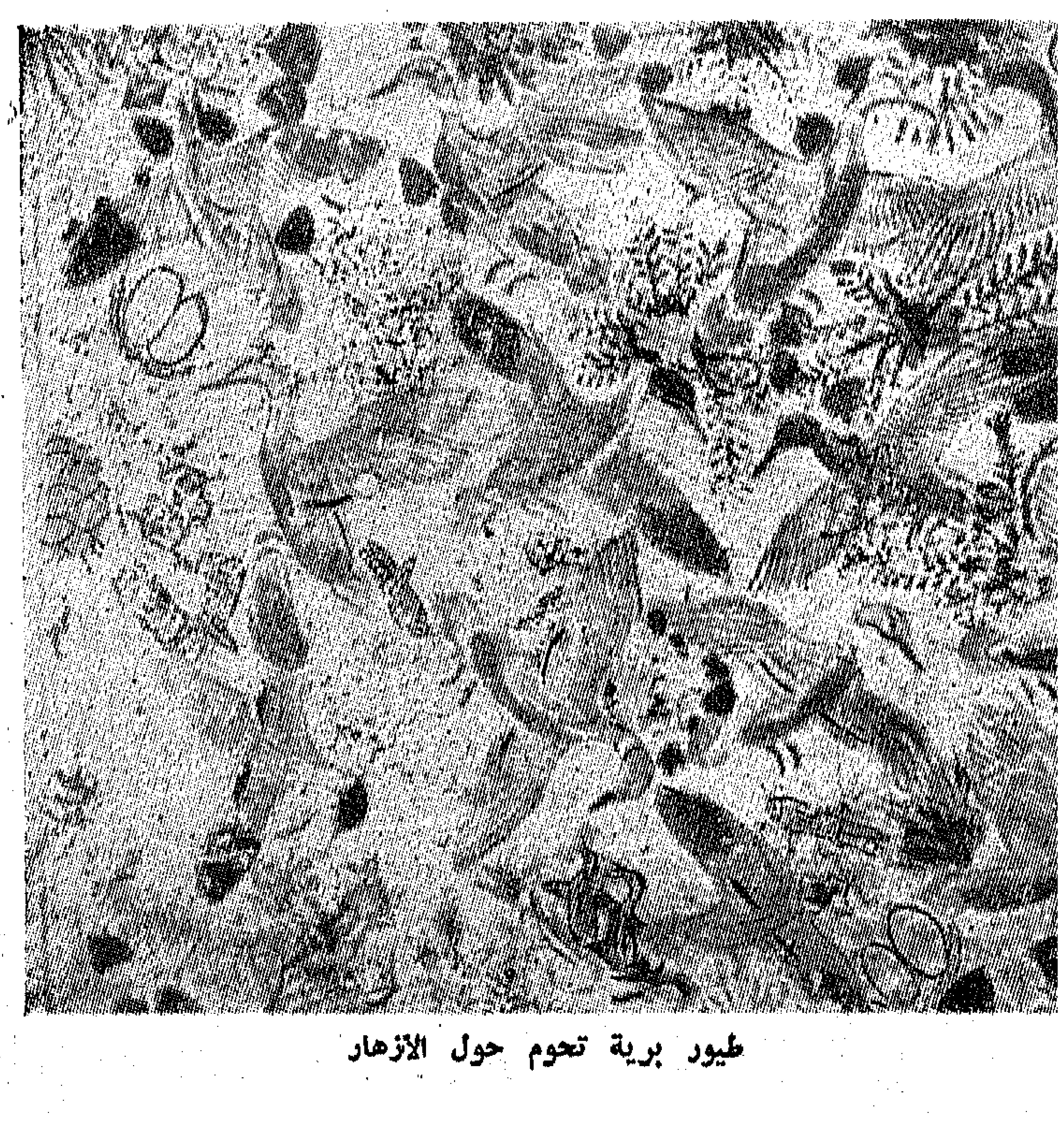
يا آتون الحى

والابدية نصيبك .

تحيا كل الزهور

التى تنمو على الأرض

وتزدهر عند اشراقك



طيور برية تحوم حول الأزهار

تنتشی امام وجهك ٠

تقفز الحيوانات على اقدامها ،

والطيور من اعشاشها

تطير فی فرح

واجنحتها المضمومة

سرعان ما تمتد

تهليلا لك

يا آتون الحی ٠

— ٣ —

ومن النشيد الكبير :

تضع كل انسان فی مكانه

وتمده بحاجته

فيجد كل قوته

وعمره محسوب ٠

تختلف الألسنة فی كلامها

والناس فی طباعهم

والوانهم متباينة

لأنك أنت ميزت بين البلاد •

خلقت نيلا فى العالم السفلى

تأتى بفيضانه متى شئت

لتحيى أهل مصر

لأنك أنت خلقتهم لك •

وأنت ربهم جميعا

تشغل نفسك من أجلهم

يارب الكون كله

وتشرق لهم

يا آتون النهار

يا رائع البهاء •

مهما بعدت كل البلاد الأجنبية

أنت الذى يمنحها الحياة •

وضعت نيلا فى السماء

كى ينزل منه فيضان على الجبال

كالأخضر الواسع (المحيط)

ليروى حقولهم وقراهم .

ما اعظم خططك يارب الأبدية

نيل فياض فى السماء

هو عطيتك للبلاد الأجنبية

ولكل حيوانات الجبال

التى تدب على اقدامها

كالنيل الذى ينبع من العالم السفلى

من أجل الأرض المحبوبة (مصر) .

ترضع أشعتك كل مرج

وعندما تشرق انت

تحيا هى وتنمو من اجلك .

خلقت الفصول لتمنى كل ما خلقت

الشتاء لينعشهم

والحر ليحسون بك .

- ٣ -

صـــلاة فقير

هذه صلاة نقشها بالهيروغليفية «نب رع» وهو أحد المثالين فى طيبة على لوح من الحجر شكرا للاله « امون رع » اله طيبة الذى استجاب لتضرعاته وشفى له ابنه المثال « نخت آمون » . واللوحة هذه التى ترجع الى عصر الاسرة التاسعة عشرة موجودة الآن فى متحف برلين :



احدى نبيلات الدولة الحديثة تحيط شعرها بطوق مزخرف برسم الزهور وعلى راسها قمع من العطر ٠

يا آمون رع يا سيد الكرنك

أيها الاله العظيم

رب طيبة

الاله الخير الذى يسمع الدعاء

ويأتى على صراخ الفقير فى المحنة

يعطى نسمة الحياة للبائس .

سأغنى نشيدى لاسمه

وأرفع مدحه لأعلى السماء

ولأقاصى الارض .

سأعلن قوته لمن يبحر شمالا

او جنوبا .

خافوه .

اعلنوا هذا للابن والابنة

للكبير وللصغير

اعلنوا هذا من جيل

الى جيل ،

لمن لم يعرفه بعد .

اعلنوا هذا لاسماك النهر

ولطيور السماء .

اعلنوا هذا لمن يعرف

ولمن لا يعرف :

خافوه

* * *

انت آمون سيد كل من صمت

من ياتى لدعاء الفقير ،

اناديك وانا فى محنتى

كى تاتى وتخلصنى ،

كى تعطى نسمة الحياة للبائس

وتطلق سراحى

من عبوديتى .

آمون يا سيد طيبة

يامن تخلص من فى العالم السفلى

انت .

متى دعاك احد

من بعيد اليه تجىء .

يكتب هذا « نب رع » المبرد

مثال آمون فى مكان الحق (١)

ابن المثال « باى » المبرد

يكتبه لاسم سيده

امون رب طيبة

اذ جاء لصراخ البائس ٠

صاغ المديح لاسمه

لانه واسع القوة ٠

تذلل امام وجهه

امام الناس جميعا

من اجل المثال « نخت آمون » المبرد

الذى كان فى فراشه مريضا

على وشك الموت

تحت رحمة آمون

بسبب ذنوبه ٠

---

(١) اسم البر الغربى من مدينة طيبة القديمة حيث دفن ملوك الدولة الحديثة ٠

ووجدت ان ملك الآلهة

جاء كريح الشمال

وأمامه النسمة المنعشة

ليخلص « نخت آمون »

مثال آمون المبرد

ابن « نب رع » المبرد

مثال آمون فى مكان الحق

المولود من السيدة « باشد » المبرورة .

أقول :

لو كان الخادم ميالا للخطيئة

فالسيد ميال للعفو .

وسيد طيبة ،

لا يمر يوم على غضبه ،

ينتهى غضبه فى لحظة

ولا يبقى منه شيء .

والرجوع عن الخطيئة يتحول الى سلام .

والتفت آمون بنسمته الطيبة .

بحق روحك التى تدوم

كن رحيما

وما مضى

لن يعود ابدا .

كتبه « نب رع » المبرد

المثال فى مكان الحق

قائلا :

« ساقيم هذه اللوحة لاسمك

وعلى وجهها اكتب اليك هذا النشيد

مادمت قد انقذت المثال « نخت آمون »

مادمت قد استمعت الى ،

ها أنا افعل ما وعدت به

أنت يا سيد من يدعوه

ويفرح بالحق

يا سيد طيبة

صنع هذا المثال « نخت آمون »

مع ابنه « خعى »

- ٤ -

صلاة بسيطة نجد لها مثيلا فى كثير من النصوص :

اى آمون

اعطنى قلبك

قرب منى اذنيك

افتح عينيك

نجنى كل يوم

وزد طول حياتى .

القصص

أحب المصرى القديم القصص واعتبرها صورة من صور الأدب كثيرا ما كانت تدرس للتلاميذ • وقد وصلنا منها الكثير مكتوبا على أوراق البردى بالهيراطيقية والديموطيقية •

ونستطيع أن نقسم هـــذه القصص الى نوعين : يقص النوع الأول حوادث حقيقية وقعت بالفعل وما زاد دور الأديب فيها عن صياغتها بأسلوبه، ومن ذلك قصة « سنوحى » أو قصة « ون آمون » المبعوث المصرى الذى ذهب الى لبنان القديمة فى مهمة لاقى فيها الأمرين ، أو بقية القصص



احدى الالهات تحيط بمقصورة توت عنخ آمون

التاريخية المعروفة . وفى النوع الآخر وهو قصص من صنع الخيال نجد الأساطير الدينية مثل نزاع الاله « حوريس » مع الاله « ست » اله الشر والذى انتهى بانتصار الأول ، أو القصص الفلسفية مثل « صراع الصدق والكذب » ، أو القصص الأدبية مثل تلك التى تحكى مباهج الصيد والقنص فى أحراش الدلتا ، أو القصص الاجتماعية مثل قصة « الفلاح الفصيح » الذى تعرض للضرب والسرقة وأدت شكواه آخر الأمر الى رد الحق اليه .

ولكن النوع المنتشر من قصص الخيال هو الذى تسيطر عليه الغرابة مثل القصة الرمزية «الجزيرة المسحورة» وقصة «الملك خوفو والسحرة»وقصة « الأمير المنحوس » وهناك بطبيعة الحال قصص الاشباح ثم قصة فريدة فى نوعها ربما أدهش البعض وجودها فى القصص المصرية وهى تحكى التقاء الهة أو جنية براع عند طرف بركة وهى للأسف غير كاملة .

وبطبيعة الحال تتفاوت هذه القصص فى أشياء كثيرة : فى حبكة القصة ووقائعها وأسلوبها ، من قصة مكتوبة للمثقفين مثل قصة «سنوحى» ذات الأسلوب البليغ والعمق فى تحليل الشخصيات الى قصة يتوارى فيها الأسلوب وراء الحوادث المثيرة والأعمال الخارقة للعادة مثل قصة « الملك خوفو والسحرة » .

ويستطيع الباحث ، ان أراد ، ان يجد صلة بين القصص المصرية هذه وبعض من القصص اليونانية أو العربية القديمة أو غيرها . اذ تذكرنا قصة « الجزيرة المسحورة » والملاح الغريق الذى يلقيه الموج عليها باوليس وحوادثه فى « الاوديسه » أو بالسندباد البحرى وقصصه فى « ألف ليله وليله » ، كما تذكرنا قصة « تحوتمس » القائد المصرى الذى استطاع بحيلة أن يدخل جنودا مختفية فى زكائب الى مدينة العدو بقصة « على بابا والأربعين لصا » فى « ألف ليله وليله » .

ويستطيع الباحث أن يجد أمثلة أخرى ويقربها الى ما دار بالقصص



فتاة تقدم العطور والحلى لمدعوات فى مادبة

المصرية مثل قصة « الاخوين » التى نرى كيف رفض شاب أن يقع فى فتنة امرأة أخيه التى تتزين له وتحاول ايقاعه بشتى الطرق ٠ وكيف هرب ٠٠٠ وكيف أصبح اشبه بالقديس ٠ ولكن هذا كله يحتاج الى بحث ٠

وقد اخترنا هنا أمثلة من هذه القصص

قصة « سنوحى »

تعتبر هذه القصة من أقدم القصص التى وصلتنا ، وقد سبق أن تعرضنا لها هنا ذاكرين انها من القصص التحليلية وان أسلوبها بليغ ٠ وهى مكتوبة بالهيراطيقية على أكثر من بردية والنص الذى نعتمد عليه هنا مكتوب على البرديتين رقم ٣٠٢٢ و ١٠٤٩٩ المحفوظتين بمتحف برلين ٠

والقصة طويلة لا نستطيع أن نقدمها كلها هنا ولذلك سنكتفى بترجمة جزء منها مع تقديم ملخص عن الجزء الباقى :

بطل القصة يسمى « سنوحى » وكان يعمل فى البلاط الملكى فى عصر الدولة الوسطى وبالذات فى عهد أول ملوك الأسرة الثانية عشرة واسمه « آمن ام حات » الأول الذى حكم ابتداء من عام ٢٠٠٠ ق٠م٠ وتدل القابه على أنه كان من المقربين للملك والملكة وبقية أفراد العائلة الحاكمة ٠ وقد صاحب « سنوحى » هذا ولى العهد « سنوسرت » الذى كان يرأس حملة عسكرية ويشترك معه بعض الأمراء الآخرين ٠

ومات الملك وأسرعت الرسل لتخبر ولى العرش حتى يستطيع أن يعيد الحملة ويتولى العرش ، واستعد هذا للرجوع بالفعل ، ولكن بعض رجال القصر الذين كانوا يودون احداث فتنة أرسلوا لأمير آخر بالخبر وبأن يستعد لتولى العرش هو بدلا من الوريث الشرعى ٠ بلغت الرسالة هذه وكان « سنوحى » قريبا فسمعها٠٠ وخشى من عواقب الأمر اذا ما اكتشف انه علم

بهذا السر الخطير • وخاف من الفتنة التى ستحدث فاختفى بعيدا عن الأعين ثم هرب عبر الدلتا الى البحيرات المرة متعرضا لاهوال ومخاطر حتى عثر عليه أحد شيوخ البدو الذى عرفه فى زيارة سابقة لمصر ، فسقاه وآواه فى قبيلته التى عومل فيها بكل احسان •

ولكن « سنوحى » لم يبق فى هذه القبيلة بل أخذ يرحل من مكان لآخر حتى قابله « عامونشى » أمير « رتنو العليا » (منطقة فى سوريا فى ذلك الوقت) وكان قد سمع بقدرته فطلب منه أن يبقى معه وزوجه من ابنته الكبرى ، واعطاه أرضا تفيض بالخير والعسل والتين والعنب ويفيض فيها النبيذ أكثر من الماء •

ونكمل القصة الآن من النص الأصلى :

« وأمضيت هكذا سنين عديدة وأصبح أبنائى أقوياء يسيطر كل منهم على قبيلته ، وتوقف عندى عادة الرسل الذى يذهبون ويجيئون من البلاط (المصرى) لأنى كنت استوقف الكل : اعطى ماء للظمآن واضع من ضل على الطريق واساعد من سرق • ولما كان البدو مضطرين لصد هجمات امراء البلاد الأجنبية ، فقد قاومت هجماتهم لأن أمير « رتنو » هذا قد جعلنى قائدا لجيشه سنين عديدة ، هزمت خلالها كل بلد حاربته ، ابعدته عن مراعيه وآباره واخذت ماشيته واسرت سكانه واستوليت على طعامهم وقتلت اهله بذراعى وقوسى وهجماتى وخططى الماهرة • وعظمت فى نفسه واحبنى لانه عرف شجاعتى فقربنى اكثر من أبنائه لأنه رأى قوة ذراعى •

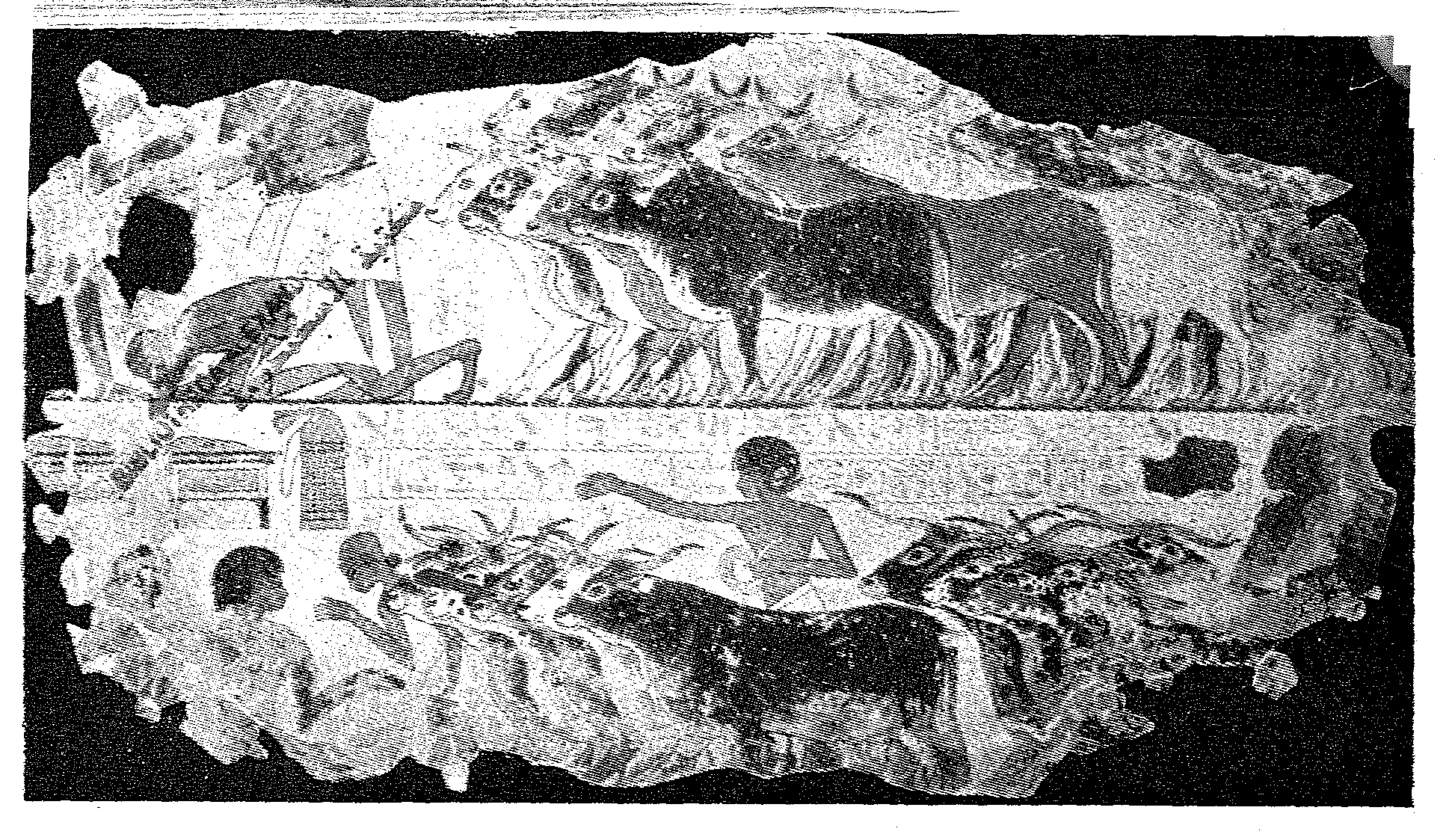
ثم جاء بطل « رتنو » الذى تحدانى داخل خيمتى ـ وكان قويا ليس له مثيل وانتصر على البلد كله ـ قائلا انه سيقاتلنى ، معتقدا انه سيقضى على ، ظانا انه سوف يسلبنى ماشيتى ، وكان مدفوعا الى ذلك بقبيلته • وعندما تشاور معى هذا الأمير قلت : « أنا لا أعرفه ولست بالتأكيد من اخوانه حتى أدخل معسكره • هل فتحت يوما بابه أو هدمت حوائطه ؟ انه

الجسد ! لأنه رآني انفذ أوامرك . انى مثل ثور قطيع متجول وسط قطيع آخر ، فهاجمه ذكر هذا القطيع وجرى نحوه ثور طويل القرنين . هل يحب شخص بسيط عندما يصبح رئيسا ؟ لا ينسجم متوحش مع شخص من الدلتا. من ذا الذى يستطيع ان ينبت نبات البردى من الصخر ؟ وهل لأن هناك ثورا يحب القتال فلابد ان يتفاداه ثور آخر قوى خوفا من أن يساويه ؟ ان كانت نفسه تحب القتال هكذا فليقل ما يريد ، أينسى الاله ما هو مقدر له ؟ وكيف يعرفه هو ؟ »

وسهرت اشد قوسي وأقذف بسهامي وأضرب بسيفي وانظف أسلحتي. وعند الفجر جاءت « رتنو » التي جمعت قبائلها ، واحتشدت البلاد المجاورة لها التي لم تفكر الا في هذه المعركة .

ثم تقدم نحوى ، وكنت واقفا انتظر ، والقلوب كلها تشتعل من أجلى ، النساء تتنهد والرجال أيضا والقلوب كلها مريضة بسببى تقول : « هل هناك أى قوى آخر يقوى على الحرب معه ؟ » ورفع درعه وفأسه وحمل ذراعه من السيوف . وبعد ان تفاديت اسلحته ، جعلت سهامه كلها حتى الأخيرة منها تمر بجانبى الواحدة بعد الأخرى . ثم اندفع نحوى ولكنى قذفته بسهم . وأصابه سهمى فى رقبته . فصرخ وسقط على وجهه . وبفأسه هو قتلته وصرخت صرخة الحرب وأنا واقف على ظهره . وصاح كل الآسيويين فرحا . قدمت أنا المديح للاله منتو (اله الحرب) بينما بكى أهله عليه ! واحتضننى هذا الأمير « عاموننشى » وأخذت ممتلكاته وسلبت ماشيته ، وما ظن انه سيفعله بى فعلته أنا به : أخذت كل ما كان فى خيمته ونهبت معسكره .

وهكذا أصبحت غنيا فى أموالى ، ميسرا فى ماشيتى . هكذا شاء الاله ليظهر عطفه على من قامت ضده مضايقات ، ومن تركه يتوه فى بلد غريب ، قلبه الآن فرح . كنت قبلا لاجئا يهرب والآن تقارير (مدح) تقدم عنى فى البلاط ، كنت متسللا يتسلل فريسة الجوع وأصبحت الآن



منظر من مناظر الحياة اليومية يمثل حصر الثيران أمام صاحب المقبرة

أعطى خبزا لجارى · من غادر بلده بسبب فقره يزدهى الآن بملابس من الكتان · من كان يجرى بنفسه وليس له خادم هو الآن غنى بالعبيد · بيتى جميل وأراضى واسعة واسمى يذكر فى القصر ·

يا أيها الاله الذى شاء هذا الهروب ارحمنى وارجعنى للبلاط · ألا تنعم على بأن أرى المكان الذى لم يغادره قلبى ؟ ليس هناك أعظم من أن أدفن فى مصر التى ولدت فيها »

وتستمر القصة لترينا كيف كوفىء « سنوحى » أخيرا بأن جاءه العفو من مصر وكيف أرسل له الملك خطابا يطلب منه العودة ! وفرح «سنوحى» · ثم عاد ، واستقبله القصر بالترحاب · عاد لمصر لينام على سرير وليس على الأرض كما تذكر القصة ، وعاد ليدفن في وطنه · كان هذا دائما حلم كل مصرى ·

الجزيرة المسحورة

أو رحلة ملاح غريق الى جزيرة الروح

تبدو هذه القصة ـ وهى قصة رمزية ـ كحلم من أحلام البحارة الذين جابوا البحر الأحمر وذاقوا عواصفه العاتية ورءوا شواطئه الساحرة المقفرة الموحشة · سفينة ضخمة تمتلىء بخيرة الشـــباب وبحر واسع اعتقدوا انهم يعرفونه ويعلمون خباياه·السفينة لا تصمد والكل يفنى سوى ملاح صغير وجد نفسه وقد القى به الموج وحيدا على جزيرة يسميها النص الأصلى « جزيرة الروح » خالية من البشر ولكنها تعمر بكل أطايب الدنيا · واذا به أمام ثعبان ضخم يختلف عن الثعابين التى يعرفها الناس · وحنا عليه الثعبان وأغدق عليه الكثير فلديه نفائس الدنيا كلها وقلبه يعمر بالحب ذلك الثعبان الوحيد الذى كان هو أيضا بدون رفيق !

ولكن جزيرة الثعبان ليست للبشر ، تختفى ويعود الملاح الى داره ·

اترك للقارىء أن يحكم على هذا الحلم الرمزى وهو يسمع البحار يرويه فى أسلوب يدل على ذوق أدبى ومقدرة على صياغة الصورة اللفظية الشعرية :



فتاة تمسك فرخ طائر فى كفها



واخرى تمسك بزهرة لوتس

« ... نزلت للأخضر الواسع (المحيط) فى سفينة طولها ١٢٠ ذراعا وعرضها ٤ أذرع وبها ١٢٠ بحارا من خيرة مصر . اذا نظروا للسماء أو نظروا للأرض فقلوبهم أقوى من الأسود، كانوا يستطيعون التنبؤ بالريح قبل ان تأتى وبالعاصفة قبل أن تحدث . وهبت الريح ونحن فى الأخضر الواسع قبل أن نصل للأرض .. عصفت الريح ثم عصفت وارتفع الموج فيه الى ثمانية أذرع . وضربها الصارى ، فغرقت السفينة ولم يبق واحد ممن كانوا بها .

أما أنا فقد ألقتنى موجة من أمواج الأخضر الواســـع على جزيرة . وأمضيت ثلاثة أيام وحيدا وقلبى هو رفيقى الوحيد ، ممددا فى ظل شجرة ومحتضنا ظلى . ثم مددت ساقى لأبحث عما أضعه فى فمى فوجدت هناك تينا وعنبا وخضروات عظيمة من كل نوع وجميزا مقفلا وخميزا مختنا وخيارا كأنه زرع خصيصا . كانت هناك أسماك وطيور ولم يكن هناك شيء لا يوجد فى داخلها (بالجزيرة) . وشبعت . وألقيت على الأرض من كثرة ما كان على ذراعى . وأخذت عصا وأشعلت النار وقدمت ذبيحة نار للآلهة .

وبعد ذلك سمعت صوتا هائلا ، وظننت انه موج من أمواج الأخضر الواسع : الأشجار تتأرجح والأرض تهتز . وعندما أزحت الغطاء عن رأسى، وجدت انه ثعبان يزحف نحوى طوله ثلاثون ذراعا وتطول لحيته عن ذراعين، كان جسمه مشغولا بالذهب وحاجباه من اللازورد الأصيل ، وكان يزحف متقدما .

فتح فمه نحوى وكنت أمامه ســاجدا على بطنى وسألنى : « من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك هنا ؟ ان تأخرت فى أن تخبرنى بمن أحضرك الى هذه الجزيرة سأجعلك ترى نفسك وقد أصبحت شعلة نار وصرت شخصا خفيا (غير مرئى) » .

ـ « انت تكلمنى ولكنى لست اسمع ما تقول ، أنا أمامك ولكنى غائب عن الرشد . »

فوضعني في فمه وأخذني الى مكان راحته ووضعني بدون أن يؤذيني ، وكنت سليما لم ينزع مني شيء . وفتح فمه نحوى وكنت ساجدا على بطني أمامه ، وقال لى :

« من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ؟ من أحضرك الى جزيرة الأخضر الواسع هذه بينما جانباها مغموران في الماء ؟ فأجبته على أسئلته وذراعاى ممتدتان امامى (وهنا أخبره الملاح بكل ما حدث) .

فقال لى : « لا تخف لا تخف أيها الصغير ولا تقطب وجهك فقد وصلت الى . ها قد جعلك الاله تعيش واحضرك الى جزيرة الروح هذه التي ليس هناك شيء لا يوجد بها والتي تمتلىء بكل الأشياء الجميلة . أنظر انك ستقضي شهرا بعد شهر حتى تنهى أربعة أشهر في هذه الجزيرة. ولكن ستأتى سفينة من العاصمة ، بحارتها ممن تعرفهم وسترجع معهم للعاصمة وستموت في مدينتك . ما أسعد من يستطيع أن يروى ماذاقه (من صعاب) عندما ينتهى المكروه .

سأقص عليك شيئا مماثلا حدث في هذه الجزيرة حيث كنت أقيم مع اخواني وأولادى . وكان مجموعنا خمسة وسبعين ثعبانا هم ابنائى واخوتى بخلاف طفلة صغيرة أنجبتها بعد دعاء . بعد ذلك سقط شهاب وهلك هؤلاء بالنار بسببه . حدث هذا بينما لم أكن أنا معهم . احترقوا وما كنت بينهم . وكدت أموت بسببهم عندما وجدتهم كومة واحدة من الجثث .

ليصمد قلبك ان كنت شجاعا وستضم أبناءك بين ذراعيك وتقبل زوجتك وترى بيتك فهذا أطيب من كل شيء . ستصل للعاصمة حيث عشت بين اخوانك » .

ومنبطحا على الأرض مسست التراب (بجبهتي) أمامه : « أقول لك هذا : سأروى قصتك للحاكم وسأجعله يعرف عظمتك ، سأجعله يحضر لك

هدايا من الزيوت العطرة ··· وبخور المعابد التى تسر الآلهة بها · سأروى ما حدث متذكرا ما رأيته من قوتك وستمجد فى العاصمة أمام أعاظم البلد كلهم · ساضحى لك بثور وأقدمه كذبيحة نار ، سأذبح لك الطيور سأجعل سفنا محملة بكل نفائس مصر تأتى اليك ، تماما كما يجب أن يفعل لاله يحب المصريين وهو فى بلد بعيد لا يعرفه هؤلاء » ·

فضحك منى ومما قلت اذ كان سخفا بالنسبة له ، وقال لى : «أالديك كثير من العطور وأنت مولود فى بلد ما به الا بخــور ؟ اما أنا فامــير « بونت » (١) وفيه العطر وأنا صاحبه · أما زيت « الحكنو » (٢) ذاك الذى قلت انك ستحضره فما أكثر ما يوجد منه فى هذه الجزيرة ·

ولكن ! عندما تغادر هذا المكان فلن ترى هذه الجزيرة أبدا فسوف تصبح ماء ! »

ثم أتت تلك السفينة كما تنبأ هو من قبل ، فذهبت وتسلقت فوق شجرة عالية وتعرفت على من بها ، ولكن لما ذهبت لأبلغه ذلك وجدت انه يعرف ، وقال لى : بالسلامة بالسلامة الى بيتك أيها الصغير حتى ترى أطفالك · أذكر اسمى بالخير فى عاصمتك · هذا هو طلبى الوحيد منك »·

فسجدت على بطنى وذراعاى ممدوتان أمامه ·

وأعطانى حملا من العطر والزيوت (ذات الرائحة الزكية ويعـــددها النص هنا) وذيول الزراف وكمية كبيرة من البخور وسن الفيــل وكلاب الصيد والقرود والنسانيس وكل النفائس الطيبة ·

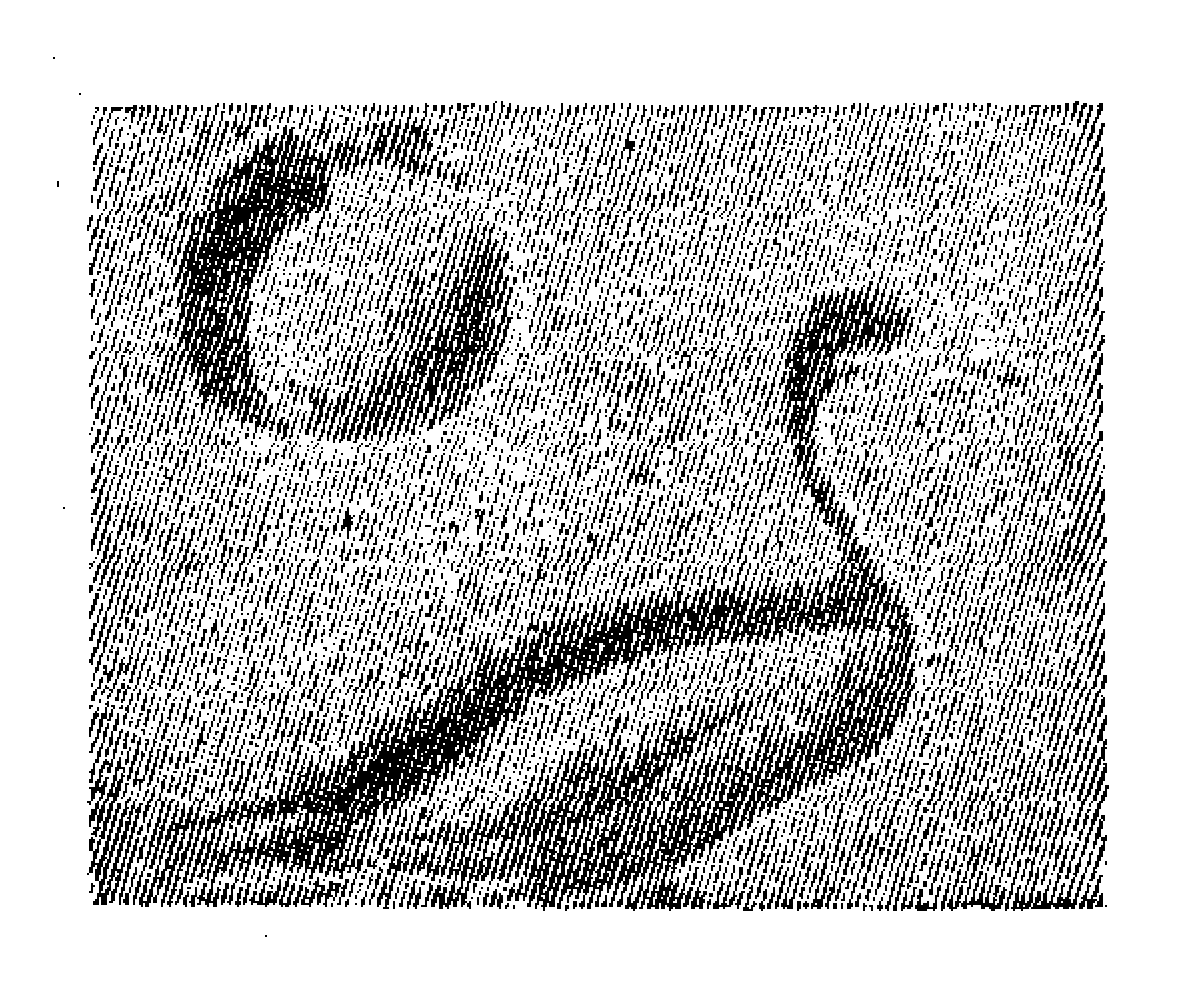
---

(١) بونت هى بلدة كانت مصر تستورد منها العطور والزيوت الزكية والأشياء النفيسة التى سيذكرها النص فيما بعد ·

(٢) زيت له رائحة زكية كان يقدم فى المعابد ·

وحملت السفينة بهذا كله ثم سجدت لأشكر الاله من أجله وقال لى : « ستصل الى العاصمة بعد شهرين وستضم أطفالك بين ذراعيك وستحيا شابا فى بلدك وستدفن (فيها) • »

وذهبت للشاطىء صوب هذه السفينة وناديت على البحارة الموجودين فيها ، وعلى الشاطىء قدمت المديح لسيد هذه الجزيرة • ومن كان فى السفينة فعل بالمثل • وأبحرنا شمالا حتى عاصمة الحاكم ووصلنا اليها بعد شهرين كما قال • وادخلت الى الحاكم وقدمت له هذه الهدايا التى أحضرتها من تلك الجزيرة ، فمدحنى أمام مجلس الكبار فى البلد كله وعيننى تابعا وكوفئت بالعبيد •



الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع ٣٠٦٦/١٩٧٢



الدكتور منير مجلى حصل على درجة دكتوراه الدولة فى
المصريات من فرنسا . وقد نشرت رسالته فى فرنسا .

آخر مؤلف له يبحث فى الكتابة الهيراطيقية والمصـ
القديمة . وهو بالفرنسية وقد ظهر هذا الشهر .

يقوم حاليا بتدريس الهيروغليفية والهيراطيقية بالمعهد العالى
للآثار بجامعة القاهرة .

الهيئة المصرية العامة للكتاب